الفصل السادس والتسعون

الارواء

تعطي الديانات السامية الماء أهمية كبيرة . وقد أثابت الأشخاص الذين يتقربون الى آلهتهم بتقديم الماء الى العطاشى ، وفرضت عليهم تقديم الماء الى العطشان لاغاثته وانقاذه من الهلاك . وفي الأسفار القديمة أمثلة عديدة على ذلك ، كما أشادت تلك الأديان بقيمة الماء في الحياة .

ولا بد ان تكون للوثنية العربية النظرة ذاتها التي نراها في الأديان الأخرى بالنسبة الى الماء ، بأن أعطته شيئاً من التقديس والأهمية ، وجعلت له مكانة في عقائدها ، وذلك قياساً على ما قلته من تقديس الأديان الأخرى له . وإن كنا نجهل ذلك لعدم ورود شيء عن ذلك في المسند . ولكن عدم ورود شيء من ذلك في المسند لا يكون دليلاً على عدم تقديس العرب الجاهليين له،لأن نصوص المسند لم تختتم بعد ، وما وصل الينا ليس إلا شيئاً قليلاً بالنسبة الى ما قد يعثر عليه في المستقبل ولا شك .

وفي الأخبار المروية عن الجاهليين وغيرهم من تقديس بعض الآبار والعيون، والتبرك بشرب الماء منها ، دليل على نظرة التقديس التي نظرتها الشعوب الساميّة وغيرها الى الماء . فالماء هو الحياة . وفي القرآن الكريم : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »[1] . ولا بد أن تكون هذه النظرة التقديسية هي التي حملت الجاهليين

---

١ الانبياء ، الرقم ٢١ ، الآية ٣٠ .

على تقديس بئر زمزم . ولا يقدر أهمية البئر حق قدرها إلا قطّان هـذا البلد الكائن في وادٍ غير ذي زرع وماء ، ولولا زمزم والآبار الأخرى التي احتفرها أهله ، والآبارُ والعيون الواقعة في أطرافه ، يحملون منها الماء الى بلدهم حملاً ، لهلك أهله ، أو هجروه . ولا يـدرك المرء قيمة الماء إلا اذا كان في صحراء قفرة لا ماء فيها ثم نفد ماؤه . ولهذا كان الغيث رحمة عظمى للأعراب ، يغيثهم بعد أن يتعرضوا للجدب والهلاك .

ولا غرابة بعد ذلك ، اذا رأينا العرب تقول في دعائها على الإنسان : ما له أحرّ الله صدره ، أي أعطشه . وفي الدعاء : سلط الله عليه الحِرّة تحت القِرّة ! يريد العطش مع البرد ؛ ورماه الله بالحرة والقرة ، أي بالعطش والبرد . وقالوا : أحرّ الرجل ، فهو محرّ : عطشت ابله[1] . وأي شيء أعظم مصيبة وخطراً على الانسان من العطش في أرض حارة !

وتعدّ بقاع جزيرة العرب من الأرضين الجافة ، فالأمطـار فيها ، ولا سيما أقسامها البعيدة عن البحر شحيحة ، والأنهار الكبيرة معدومة فيها ، والعيون قليلة أيضاً ، وجوّها جاف لا نكاد نستثني منهـا إلا سواحلها ، وهذا الجفاف صيّر القسم الأكبر من أرضها صحاري قاحلة تكسوها طبقة غليظة من الرمال في بعض الأماكن مثل الربع الخالي ، كما جعلها غير قابلة للزرع . على ان من الممكن ان تبعث الحياة في مناطق واسعة شاسعة من هذه الأرضين ، فتجعل أرضين منتجـة مخصبة نافعة ، اذا اتبعت الأساليب العلمية في معالجة الأرض ، وفي استنباط الماء ، وفي السيطرة على الأمطار والسيول التي تنشأ منها في بعض الاحيان وتغور في الرمال دون ان يستفاد منها ، بإقامة السدود والحياض الصناعية التي تخزن فيها الى وقت الحاجة ، وذلك كما فعل الجاهليون في بعض الاماكن ، وخاصة في العربية الجنوبية ، من اقامة سدود تحجز السيول وتحبسها ، فإذا انقطعت الامطار وحل الجفاف استفيد منها في الإرواء .

ونجد في بطون الكتب أسماء مواضع عديدة كبيرة كانت ذات عيون ومياه وآبار ونخيل وأناس عند ظهور الاسلام[2] ، وهي اليوم صحاري خالية أو مواضع صغيرة لا أهمية لهـا ، وذلك بسبب اهمال الانسان لها واعتدائه عليها ، وتحول

---

١ اللسان (١٧٨/٤ وما بعدها) ، (حرر) .
٢ ابن المجاور (٩/١ ، ١٦ وما بعدها ، ١٣٢) .

الطرق التجارية عنها . ويظهر أن لاشتراك القبائل في الفتوح ، ونزولها في العراق وفي بلاد الشأم والأماكن الغنية الأخرى بعد دخول هذه الأماكن في الإسلام أثراً في هجرة الناس عن مواضع العيون والآبار في الحجاز وفي بقية جزيرة العرب ، لقلة خيراتها وحاصلاتها وعـــدم تعلق الفلاح بالأرض في تلك الأماكن . أما في الوطن الجديد الذي حمله الفتح اليه ، فقد وجد فيه خيراً كثيراً وأرضاً وماءً وجواً ألطف وأرق من الجو الذي كان يعيش فيه ، وبذلك خسرت جزيرة العرب عدداً كبيراً من سكّانها ، ممن فضل الهجرة على القعود .

ومن يقرأ كتاب (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) وكتباً أخرى من هذا القبيـــل ، يعجب من التدهور الذي أصاب الزراعـــة في جزيرة العرب بعد الاسلام ، إذ يجد أسماء مواضع عديدة كانت تكفي نفسها ، أو تصدر الحاصل الزراعي الى الأسواق المجاورة ، ثم قلّ حاصلها كثيراً بإهمال الزراعة . وإعراض الناس عنها ، حتى بعض النواحي القريبة من مكة والمجاورة لها ، كانت مشهورة بالخضر والفواكه والأزهار والرياحين ، ثم فقدت شهرتها من بعد . وذكر (ابن المجاور) ان موضع (الزهـــران) كان معروفاً بزراعة (الزعفران) ، وكان الموظفون يجبون جباية لا بأس بهـــا منه ومن الزرع والضرع وسقـــي الأنهار . «فلما دار الدهر ، نقص جميع ما ذكرناه ، لاختلاف النيات مع قلة الأمانات»[1]. وفي هذا الكتاب أمثلة عديدة على هذا التدهور المؤسف الذي حل بالزرع وبالمـاء وبالأيدي العاملة المشتغلة باصلاح الأرض ، والذي كان من جملة أسبابـه ما قلته من هجرة المتمولين والمثرين والسادة الكبار من الحجاز وبقيـــة جزيرة العرب الى العراق وبلاد الشأم ، لوجود مجال واسع للإثراء ، لا مثيل له في جزيرة العرب .

وللعرب مصطلحات كثيرة في الإرواء وفي سقيهم وسقي إبلهم، لارتباط حياتهم بالماء، ولأثر الحر والعطش والجفاف فيهم وفي أموالهم . وفي جملة هذه المصطلحات (الشريعة) ، « مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . وربما شرعوها دوابهم ، فشرعت تشرب منها . والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدّاً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً لا يستقى بالرشاء . واذا كان من السماء والأمطار ، فهو الكرع . وقد أكرعوه إبلهم فكرعت فيه وسقوها بالكرع. وهو مذكور في موضعه كالمشرعة »[2] . وتقابل هذه اللفظة لفظة (مشرعن) في

١ ابن المجاور (١/٩) .
٢ تاج العروس (٥/٣٩٥) ، (شرع) .

لغة المسند ، أي (المشترع) ، والمشرعة [1] .

وقد تخصص أناس باستنباط المياه وتقدير حفر الآبـار ، كما تخصص آخرون بالسيطرة عليها وحصرها بالسدود . وسمى علماء اللغة المقدر لمجاري المياه (القَناقِن) وهو مثل المهندس في هذا الفن[2] . وذكر بعضهم أن (القُناقن) البصـير بحفر المياه واستخراجها ، والمهندس الذي يعرف موضع المـاء تحت الأرض ، أو هو الذي يسمع فيعرف مقدار الماء في البئر قريباً أو بعيداً [3] .

وقد قسم بعض العلماء المياه المستخرجة الى ثلاثة أقسام : مياه أنهار ، ومياه آبار ، ومياه عيون .

وقسّموا مياه الأنهار الى ثلاثة أقسام : أنهار كبار لم يحفرها الآدميون، وأنهار صغار ، لم يحتفرها إنسان ، وأنهار احتفرها الناس . فتكون ملكاً لمن احتفرها ، لا حق لغيرهم في الانتفاع منها .

وأما الآبار ، فآبار تحفر للسابلة ،فيكون ماؤها مشتركاً ، وآبـار تحفر للإرتفاق بماشيها . كالبادية إذا انتجعوا أرضاً وحفروا فيها بئراً لشربهم وشرب مواشيهم . كانوا أحق بمائها ما أقاموا عليها في نجعهم ،فإذا ارتحلوا عنها صارت البئر سابلة . وآبار مملوكة . وتكون ملكاً لمالكها لا ينازعه عليها منازع .

وقسموا العيون الى ثلاثة أقسام : عيون لم يستنبطها الآدميون . وعيون استنبطها إنسان ، فتكون ملكاً لمن استنبطها ، ويملك معها حريمها . وعيون يستنبطها الرجل في ملكه ، فتكون ملكاً له [4] .

واليمن مثل سائر أقسام جزيرة العرب ، خالية من الأنهـار الكبيرة كدجلة والفرات والنيل ، وخلوّها من أمثال هذه الأنهـار أثّرت كثيراً – ولا شك – في وضع الزراعة فيها . ولكن الطبيعة عوّضتها بعض التعويض عن هذه الخسارة ، فصار حالها أحسن كثيراً من حال الأقسام الشرقية أو الوسطى من جزيرة العرب . فجعلت لها رياحاً تحمل اليها الأمطار في مواسم معروفة ، وجعلت لها أمكنة ملائمة لخزن هذه الأمطار الهاطلة ، استبدت بها أيدي الانسان ، وتحكمت فيها بأن جعلت

---

١ Rhodokanakis, Stud., Lexi., I, S. 113.
٢ المعاني الكبير (المجلد الثاني) ، (ص ٦٤٠) .
٣ تاج العروس (٩/٣١٥) ، (قنن) ، المخصص (١٠/٣٣) .
٤ الاحكام السلطانية (١٩٧ وما بعدها) .

لها أبواباً ومنافذ ، وسدوداً في بعض المواضع ، وتمكنت بذلك من خـزن هذه الأمطار للاستفادة منها في أيام الحاجة . ثم جعلت لها تربة حسنة طيبة أريضة تنبت كل ما يبذر فيها ، وتنبت ما يتساقط عليها من بذور متطايرة مع الهواء ، حتى شاع صيتها وانتشر خبرها بين الناس ، فعرفت باليمن الخضراء .

وقد ساعدت هـذه الأمطار أهل اليمن كثيراً في تطوير أحوالهم من النواحي الاجتماعية ، فمال كثير منهم الى الاستقرار والى الاشتغال بالزراعة والتعيش منها . وساعد ذلك على سكناهم في المدر وفي القرى والمدن ، على عكس ما يحدث في الأرضين التي غلبت عليهـا الطبيعة الصحراوية لانحباس المطر عنها ، وهي حالة اضطرت أصحابها الى التنقل فيها من مكان الى مكان طلباً للكلأ والماء ، وجعلت من أصحابها أناساً فقراء ، يعيشون عيشة شظف وضنك وفقر ، مع مـا وهبتهم الطبيعة من ذكاء مفرط واستعداد للتطور إن تهيأت لهم الظروف الملائمة وساعدتهم الأحوال .

والأمطار قليلة بصورة عامة في جزيرة العرب ، فلم تعتمد الزراعة فيها عـلى الأمطار كما تعتمد في البلاد الأوروبية ، وإنما تعتمد على الجعافر والحسي والعيون والآبار . ولهذا السبب انحصرت الزراعة في الأماكن التي توجد فيها هـذه الموارد المائية . ويختلف عمق الآبار باختلاف المواقع ، وباختلاف سطوح المياه الجوفيـة عن سطح الأرض . ولما كانت بعض الآبار عميقة جداً بسبب بعد سطح مائهـا عن سطح الأرض ، لم يستفد منها في الزراعة كثيراً ، وإنما استفيد منها في شرب الانسان والحيوان فقط .

وفي العربية الغربية مواضع عديدة كانت ذات ماء ، ورد اسمها في كتب اللغة وفي كتب (الجغرافيا) والبلدان والرحلات . تكونت من سقوط الأمطـار على الجبال والمرتفعات . وبعضها ماء عذب ، وبعض منها ماء مج أو مالـح ، وقد استفيد منها في السقي وفي الزرع . ويظهر من دراسة ما ذكره العلماء عنها ، انه قد كان في الامكان الاستفادة منها واستغلالها لأغراض زراعية ، لو كان لأهـل هذه الأرضين علم بكيفية السيطرة على الماء ، وكيفية استنباطه من باطن الأرض ، وكيفية الهيمنة عليه بحفر مجار له . فقد كانت لبني الحارث بن بُهثة بن سُليم : عيون ماء في صخور ، لم يتمكنوا من الانتفاع بها ، لأنهم لم يتمكنوا ان يجروها

الى حيث ينتفعون بها[1]. وكان في (يَلْيَل) عين كبيرة تخرج من جوف من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماءً ، لم يزرعوا عليها إلا في يسيرة ، لأنها تجري في رمل[2] ، ولم يكن علم على ما يظهر في كيفية اسر هذا الماء من ذلك الرمل . وكان في امكانهم مسك مسايل المـاء من الجر البحر ، وحبسها في أحباس ، بصنع سدود لها ، لو كان لهم علم ومال و كبيرة تكون عندها المؤهلات والامكانيات لعمل السدود ، للاستفادة من مياه المنابع التي كانت تجري طيلة ايام السنة ، فتحول بينها وبين الذهاب عبث البحر . فتحيي بذلك أرضين مواتاً وعدم وجود حكومات كبيرة تقوم بمثل الأعمال وبضبط الأمن . واشاعة الاستقرار ، هو من أهم العوامـل التي سبباً في عدم الاستفادة من المياه وفي تأخر الزراعة في جزيرة العرب ، فلو هنالك حكومات كبيرة ، لكان في وسعها الاستفادة من المياه الظاهرة والباطنة مياه السماء ، فتحيي بذلك أرضين كثيرة خصبة ، وتحمي الزرع من عبث ال وتشيع الأمن والطمأنينة في النفوس فيقبل الناس على الزرع والعناية بالضرع .

وقد ذكر (عرام) اسم موضع دعاه (ذا مجر) ، ذكر أنه غدير كبـ بطن وادي قوران ، وبأعلاه ماء يقال له (لقف) ، وهو آبار كثيرة ، عذبة ا ليس عليها مزارع ولا نخل ، لغلظ موضعها وخشونته ، وفوق ذلك ماء يق (شسي) ماء آبار عذاب[3] . وذكر اسم جبل يقال له (مغار) في جوفه أ منها حسي يقال له (الهدّار) يفور بماء كثير ، لم يستفد منها فائدة تذكر فكانت المياه تذهب عبثاً إلى سباخ لعدم وجود من يتغلب عليها بعقله وبعلمه ويستروضها لتخدمه في إحياء الأرض وفي اعاشته وإعاشة ماشيته .

أما العربية الشرقية والعربية الوسطى ، فانهما أقل مياهاً من العربية الغربيـ لقلة مـا يسقط عليها من الأمطار . ولذلك صارت مواضع الماء فيها متباعد والمسافات التي يجب أن يقطعها المسافرون من موضع الى موضع أطول من المسـ التي تقطع بين منازل العربية الغربية ، لتباعد مواضع المياه . ومن أهم موارد

---

١ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٧) .
٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٨) .
٣ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٣) .
٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٣ وما بعدها) .

في العربية الشرقية نهر (مُحلم) بهجر البحرين . ذكر بعض أهل الأخبار أنه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم ، وأن (تبعاً) نزل عليه فهـاله . وان مياهه الجوفية متصلة بسيح الأطلس الذي يكون مخرج مائه من عين الناقة[1] .

إن قلة الأمطار أو شحّها وانحباسها في بعض السنين وعدم وجود الماء في أكثر أنحاء جزيرة العرب ، أثر أثراً كبيراً في حياة أهلهـا الاجتماعية ، فحوّل قسماً كبيراً منهم الى بـدو رحل ، يتنقلون من مكان الى مكان طلباً للكلأ والماء ، هدفهم في هذه الحياة الحصول على الكلأ والماء . والكلأ والماء هما العزّ والجـاه والثراء وأغلى شيء في هذه الدنيا ، فقاتل بعضهم بعضاً من أجل الحصول عليها ، وقطعوا مسافات شاسعة بحثاً عنها . ولم يتمكن الروم والرومان من منعها من دخول بلاد الشأم بحثاً عن الكلأ والماء ، ولم يتمكن الساسانيون من منعهم مـن الوصول الى هذه الثروة العظيمة كذلك . هذه الثروة التي سببت اقتتال القبائل فيما بينها من أجل الحصول عليها .

ولحماية الماء ولا سيما مياه الآبار من اعتداء الطبيعة أو الإنسان عليه أقاموا أبنية فوقه ، في أيام الجاهلية وفي الاسلام . وقد أشار العلماء الى قباب بنيت فوق المياه ، فقد اتخذ أهل بطن (السيدان) قباباً عـلى كل ماء به ، ومياهه تسمى الجرور والجرابر ، لبعد قعرها ، ولأنها لا تخرج إلا بالغروب والسواني لبعد الماء فيهـا عن سطح الأرض[2] .

انحباس المطر :

يؤدي انحباس المطر الى كوارث ومصائب تترك أثراً كبيراً في أحوال السكان . تهلك أموالهم وهي كل ما عندهم في هذه الحياة ، وقد يموت الكثير منهم من العطش والجوع . ولهذا عمد الناس في جزيرة العرب ، كما عمد غيرهم الى استرضاء آلهتهم بالتقرب اليها بتقديم الهدايا والقرابين ، وبالتوسل اليها لانزال المطر ، وبالصلاة لها صلاة خاصة يقال لها صلاة الاستسقاء ، هي صلاة أقرتها الأديان السماوية أيضاً ،

---

١ الصفة (١٦٠) .

٢ بلاد العرب (٣١٨) .

لم يرد في نصوص المسند ويا للأسف شيئاً عنها ، غير اننا نملك نصاً جاء فيه ان شخصاً قدّم قرابين الى الإلـه (عثتر) والى معابده كلها ، لأنـه منّ على سبأ وأتباعهم ، فأرسل عليهم (سقي خرف ودثا)[1] ، أي (مطـر الخريف ومطر الربيع) . ومعنى ذلك ان القوم كانوا قد توسلوا الى هذا الإلـــه ليرسل عليهم الغيث الذي انحبس عنهـــم في موسميه المعروفين في اليمن ، ونذروا له نذراً إن استجاب لهم ، وقد استجاب لدعوتهم فأرسله عليهم ، فقدمت اليه تلك الذبائح والقرابين .

وقد تحدثت في أثنـــاء كلامي على الحياة الدينية عن عادة أهـــل الجاهلية في الاستمطار ، وعن هذه النار التي كانوا يولعونها والتي يسمونها (نار الاستمطار). وهي عادة قد تكون مألوفة بين أهل مكة وأهل الحجاز . وهي من العادات التي أبطلها الاسلام ، إذ أحل محلها صلاة الاستسقاء[2] .

وقد تهطل الأمطار أحياناً هطولاً شديداً مؤذياً ، فتكوّن سيولاً عارمة تجرف الزروع والبيوت والمواشي وتنكب الناس بعيشهم الضيق الذي هم فيـه . ونجد في كتب أهل الأخبار إشارات الى سيول عديدة حدثت في الجاهليـة والإسلام ، في الحجاز واليمن وفي أمكنة أخرى ، فأصابت الناس بأضرار كبيرة ، حيث تنحدر بشكل سريع وشديـــد وبقوة كبيرة من الجبال والهضاب والمرتفعات الى الأوديـة والسهول فتغمرها بالمياه ، وفي كتب الأخبار أن السيول قد أصابت مكـــة مراراً في الجاهلية وفي الاسلام . وهي في جملة المصائب والكوارث التي تنزل بالناس ، فلا عجب إذا ما رأينا المثل العربي يقول : « سال بهم السيل،وجاش بنا البحر . أي وقعوا في أمر شديد ، ووقعنا نحن في أشد منه ، لأن الذي يجيش به البحر أسوأ حالاً ممن يسيل به السيل »[3] .

ولفظة (سقى) من الألفاظ الواردة في المسند ، بمعنى (مطر) و (ارواء)

---

١ Rhodokanakis, Katab. Texte, II, S. 53, Glaser 1752.

٢ ألا در رجـــال خاب سعيهـــم يستمطرون لـدى الازمات بالعشر
أجاعـل أنت بيقـورا مسلعة ذريعـة لـــك بين الله والمطـــر
تاج العروس (٣/٥٤) ، (٥/٣٨٥) ، بلوغ الارب (٢/١٦٤ ، ٣٠٢) .

٣ تاج العروس (٧/٣٨٦) ، (سال) .

و (سقي)[1] . ولفظة (مسقت) و (مسقيت) بمعنى (مسقى) و (مسقية). ووردت لفظة الإرواء في النصوص العربية الجنوبية كذلك : وردت في نص معيني على هذه الصورة (رويم) (روي) بمعنى (ارواء)[2] ، وذلك كما في هذه الجملة : « رويم لا نخلهمى » ، أي « لارواء نخيلهم »[3] ، وفي هذا المعنى جملة : (رويم وسقيتم لنخلهمو)[4] ، أي « ارواء وإسقاء نخيلهم » .

و (المكر) سقي الأرض ، وأرض ممكورة ، مسقاة ، ومكر أرضه، سقاها[5].

أنواع السقي :

ويسقى الزرع في جزيرة العرب ، إما بالسيح ، والسيح الماء الجاري الظاهر على وجه الأرض[6] ، ويقال له : (المسقوي)[7] ، وإما بماء المطر ، أى بما تسقيه السماء ، ويقال له : (المظمّى)[8] ، وإما من الآبار . أي بالدلاء. وقد تستخدم النواعير في رفع الماء من الأنهار الى السواقي لتجري الى المزارع ، أي بالطرق الفنية التي يستخدمها الانسان في تسخير الماء في خدمته .

ويقال لما سقته السماء من النخل (العثري) . وقيل (العُثرى) هو من الزرع ما سقي بماء السماء والمطر وأجري اليه الماء من المسايل ، وقيل النخيل التي تشرب بعروقها من ماء المطر[9] . وفي هذا المعنى (العذي) ، والعذي أيضاً الموضع الذي ينبت في الشتاء والصيف من غير نبع ماء ، وقيل العذي : الزرع الذي لا يسقيه إلا المطر[10] . وقد اتخذت المرتفعات وذرى الجبال قرى ومزارع ، صارت زراعها

---

١ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 115, 119.

٢ Halevy 174.

٣ Rhodokanakis, II, S. 129.

٤ Glaser 423, Rep. Epigr. 852.

٥ تاج العروس (٣/٥٤٨) ، (مكر) .

٦ تاج العروس (٢/١٦٨) ، (السيح) .

٧ تاج العروس (١٠/١٧٩) ، (سقى) .

٨ تاج العروس (١٠/١٧٩ ، ٢٣٢) ، (سقى) ، (الظمياء) .

٩ تاج العروس (٣/٣٨٢) ، (عثر) ، اللسان (٣/٣٨٢) ، (عثر) .

١٠ تاج العروس (١٠/٢٣٩) ، (عذى) .

أعذاء ، لا تسقى[1] . و (عمد) الأرض التي تسقى بماء السماء في لغة المسند[2] . ونقرأ لفظة (أعذاء) في كتب من وصف جزيرة العرب ومواضعها وزروعها[3] ، وقد قصدوا بها زروع نبتت على ماء السماء .

المطر :

ويقال للمطر في المسند (ذ ن م م) (ذنمم) . وقد وردت هذه اللفظة في عدد من النصوص[4] . ويقال له (دثن) أيضاً[5] . وهي (الدث) في عربية القرآن الكريم، يقال دثت السماء اذا نزل منها الدث ، والدث هو المطر الضعيف[6] . ويراد بـ (دثن) (الدث) في المسند ، المطر الذي يتساقط بعد الحر الشديد وفي نهاية القيظ .

ويقال للمطر الغيث كذلك . وذكر بعض علماء اللغة أن الغيث هو المطر الخاص بالخير الكثير النافع ، ومن المجاز : الغيث بمعنى الكلأ ينبت بماء السماء ، وكذا السحاب . ورأى بعض العلماء أن الغيث اسم المطر كله . وأما السبل ، فالمطر أيضاً ، أو المطر بين السحاب والأرض حين يخرج من السحاب ولم يصل الى الأرض ومثله العثانين . وأما الودق ، فالمطر أيضاً . ومنه النزل والرجع في كلام هُذيل . وكذلك الخرج والقطر والخدر . وقيل : النصر ، الغيث . والذهاب اسم المطر كله ضعيفه وشديده[7] . و (الديمة) ، مطر يدوم أي يطول زمانه أياماً . وأرض مديمة ، أصابتها الديم ، والمدام المطر الدائم[8] . و (الديمن) و (الديم) ، هو الزرع الذي يسقى بماء المطر ، في اصطلاح أهل العراق اليوم . واذا بكر الغيث في أول الوسمي ، قيل له (باكور)[9] . أما آخر أمطار السنة

---

١ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٧) .
٢ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 445.
٣ بلاد العرب (٣٠٥) .
٤ Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 101, Num. 76, S. 238, Num. 171.
٥ CIH 540.
٦ تاج العروس (١/٦٢١) ، القاموس (١/١٦٦) .
٧ تاج العروس (١/٦٣٢) ، (٩/١٢٠ وما بعدها) ، المخصص (١١/٥) .
٨ تاج العروس (٨/٢٩٦) ، (دوم) .
٩ تاج العروس (٣/٥٧) ، المخصص (١١/٨) .

الذي يأتي في وقت الخراف ، أي أواخر الخريف[1] ، فإنه (خرفن) في نصوص المسند ، أي (الخراف) .

ويقال للمطر الـذي ينزل في فصل الخريف : (الخريف) ، ويقال له : (الخرفي) كذلك ، أو هو أول المطر في أول الشتاء ، وهو الذي يأتي عند صرام النخل ، ثم الذي يليه الوسمي . وهو عند دخول الشتاء ، ثم يليه الربيـع ، ثم يليه الصيف ، ثم الحميم . وقال بعض علـماء اللغـة : أول المطر الوسمي ، ثم الشتوي ، ثم الدفىء ، ثم الصيف ، ثم الحميم ، ثم الخريف ، ولذلك جعلت السنة ستة أزمنة . وقال أبو حنيفة : ليس الخريف في الأصل باسم للفصل، وانما هو اسم مطر القيظ ، ثم سمي الزمن به . والحجاز كله يمطر بالخريف ، ونجد لا تمطر به[2] .

والمزن السحاب . وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم . ويقول علماء اللغة ان المزن جمع مزنة ، وهي السحاب الأبيض . وقد كان جل اعتماد أهـل جزيرة العرب في الشرب ، وفي الإرواء على ماء المطر . كما نجد ذلك في الآية : «أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن ، أم نحن المنزلون »[3] .

ولارتباط حياة العرب بالمطر،كثرت الألفاظ المتعلقة به في لغتهم . ففي معاجم اللغة ألفاظ كثيرة في معنى المطر وفي أمور تتعلق به ، في مثل السحاب ، وأنواعه وأسماء قطعه ، وما شاكل ذلك من ألفاظ وأسماء ، تمثل لك مدى عنايـة العرب بالمطر ، لشدة حاجتهم اليه .

وللعرب علامات إذا ظهرت دلت عندهم على أنها أمارات الغيث وعلاماته ، منها الهالة التي تكون حول القمر ، إن كانت كثيفة مظلمة ، كانت من دلائل المطر ، ولا سيما إن كانت مضاعفة . ومنها (الندأة) ، وهي الحمرة التي تكون عند مغرب الشمس أيام الغيوث . والمبشرات ، وهي عدة علامات تتوالى ، تدل عندهم على نزول الغيث . ومنها الرعد والبرق،ومنها أن ترى القمر أو الكواكب في الصحو يحيط بها لون يخـالف لون السماء ، وكذلك إن رأيت القمر في الغيم

---

١ المخصص (١١/٥) .
٢ تاج العروس (٦/٨٢) .
٣ تاج العروس (٩/٣٤٥) ، (مزن) .

وإن كان قزعاً كأنه تحيط به خطوط كخطوط قوس المزن ، وهي القسطانيـة . وبعض الرواة يجعل قوس الغيم أيضاً بدأة [1] .

وهم يعتبرون الغيث نعمة ورحمة ، ولهذا كانوا يفرحون بنزوله ويستبشرون ، لا سيما إذا كان نزوله بعد قحط وجدب . ويهنأ أحدهم الآخر بانصبابه لما سيصيبهم جميعاً من خير عميم . ولكنه قد يصير نقمة إذا نزل سيـلاً مدراراً ، يكتسح كل شيء يجده أمامـه ، وقد تمتلىء به بطون الأودية ، فتغرق سيولهـا القرى والمستوطنات . مثل ما كانت تصاب به مكة من السيول . فمكـة في وادٍ على طرفيه جبال ، إذا نزلت عليها الأمطار سالت الى بـاطن الوادي ، فتؤذي البلدة والحرم ، وقد أقيمت الردم لمنع السيول من اغراق الحرم ، والبيوت ، غير أن السيول تكون قاهرة جبارة في بعض الأحيان ، فلا يقف أمامها ردم ولا سكر. وقد أشار أهل الأخبار الى المهم من هذه السيول [2] .

وقد هددت السيول يثرب بالغرق أيضاً ، مع انها ليست في وادٍ ، وذلك من سيل (مهزور) . وقد أقام (عثمان) رداً لمنع سيل هذا الوادي من اغراق المدينة [3] .

الاستفادة من مياه الأمطار :

وقد اضطر سكان جزيرة العرب ان يلجأوا الى الوسائل الصناعية للاستفادة من المياه ، وذلك لقلتها وشحها ، سواء أكانت مياه أمطار أم مياه أرض ، متدفقة من أجواف الأرض على هيأة عيون أو جعافر . وفي جملة ما اتخذوه اقامة السدود في الأرضين التي تساعد طبيعتها على اقامة السدود ، وحفر الآبار للاستفادة منها في السقي وفي الزراعة بمقياس يتناسب بالطبع مع كميات مياه الآبار .

وقد اتخذ أهل المواضع المرتفعة مثل الأماكن الجبلية التي يصعب نقل الماء اليها كل الوسائل الممكنة للمحافظة على ماء المطر والسيطرة عليه وجمعه لئـلا يذهب

---

١ « قوس المزن » ، تاج العروس (٥/٢٠٦) ، القاموس (٢/٢٧٩) .
٢ البلاذري ، فتوح (٦٥) .
٣ البلاذري ، فتوح (٢٤) .

سدى ، فحفروا الصهاريج العميقة في البيوت وفي أماكن أخرى ليسيل اليهـا ، وسلطوا مياه الميازيب على أماكن تسيل منها الى هذه الصهاريج . ولا يزال بعض الميازيب الجاهلية في حالة جيدة يستعمل في الأغراض التي صنع من أجلها . وهي مصنوعة من الصخور ، وبعضها من المرمر الأبيض الجميل . وفي مسجد (حصن غيمان) ، صهريج جاهلي قديم ، يستعمل لخزن المياه . وهناك صهاريج عديدة في هذا الموضع ، كلها من ايام الجاهلية . وبعضها مفتوح على هيـأة حوض ، وأكثره من النوع المغطى والمنقور في الصخر . وقد تساقطت سقوف بعض هـذه الصهاريج أو أصيبت بتلف في بعض أقسامها وظهرت هياتهـا للعيان ، فعرفت أشكالها وأعماقها ، ولبعضها ممرات توصل بعضها ببعض ، فتجعلها كأنها شبكـة تربط مساحة واحدة تملأ بالماء تحت سطح الأرض. ولهذه الصهاريج فتحات تستخرج منها المياه للارواء[1] .

ولهذه الصهاريج أهمية خاصة في ايام الحروب ، إذ تمنع العدو من قطع الماء عن المحاصرين ، وبذلك يستطيعون البقاء مدة طويلة يدافعون عن أماكنهم خلف الأسوار .

وقد استخدمت الصهاريج لخزن الماء ، حتى البيوت استخدمتها لذلك ، فكان إذا وقع الغيث سال الى هـذه الصهاريج فخزنته . وقد اتخذ أهل المدن الصهاريج الكبيرة لتموين النـاس بالماء ، وبنوا الصهاريج في المعابد ليستفيد منها المتعبدون القادمون اليها ورجال الدين .

وقد عثر على صهاريج عديدة في حضرموت وفي اليمن ،عرفت عند الحضرميين بـ (نقب) . وهي عبارة عن حفر نقرت في الصخور وفي المواضع الحجرية وفي مواضع أخرى ، يبلغ قطر أفواهها وفتحاتها زهاء المتر في الغالب . أما أعماقهـا فهي مختلفة وكذلك أقطارها السفلى أي من جهة قواعدها . فقد عثر على بعضها، وأعماقها تتراوح من ثلاثة أمتار الى أربعة ، وأقطارها السفـلى تتراوح من خمسة أمتار الى ستة . ويقال لعملية الحفر (نقب) كما في هذه الجملة : (نقبو نقب)[2] أي (نقبوا نقباً) ، ومعناها (حفروا نقباً) و (حفروا صهريجاً) .

---

١ Sabaeica, I, S. 76.

٢ Ry 63, Wissmann und Höfner, Beiträge, S. 56.

وتوصل هذه الصهاريج بمجاري تحت الأرض قد يبلغ أطوالها جملة كيلومترات لايصال الماء منهـــا الى مواضع السكن أو الزرع . وتكون الصهاريج مرتفعة عن مسايل المياه الأرضية ، ليسيل منها الماء الى الجهات التي تريدها . ويكون معينها هو ماء المطر[1] . ويظهر أن طريقة توزيع الماء من النقاب بمسايل للمياه أرضيـــة كانت شائعة قبل الإسلام في المدن والقرى المرتفعة البعيدة عن الغيـــول والنهيرات والآبار والتي تتساقط فيها الأمطار ، فلجأت الى هذه الطريقة الفنية لحبس ميـــاه الأمطار للاستفادة منها في الشرب والاستعمال وفي الزراعة أيضاً .

الذُّهب :

ويقال لموضع تجمع مياه الأمطار ومسيلها (ذهبن) ، أي (الذُّهب) . ويستخدم هذا الماء المتجمع لاسقاء الحيوان وللشرب ولإسقاء الزرع ، قـــال (الهمداني) : « والذُّهب ... يمتلىء من السيل ، فإذا امتلأ نف فيه الطهف والدخن ، فنضب الماء ، ثار نبته »[2] . وقد كانوا يستفيدون من أمثال هذه (الذُّهب) بتسويرهـا وحصر الماء فيها ثم توجيهها الى الأحواض الكبرى للاستفادة منها عند انحباس الأمطار .

وكانت أشراج الحرة بيثرب من مسايل الماء ، فإذا هطلت الأمطـار انحدرت اليها وامتلأت بها فتسيل الى الأرضين المزروعة ترويها بالماء[3] . وقد تحبس الشراج فتكون أحواضاً يستفاد منها في السقي والزرع .

وهناك حفر تتجمع فيها المياه فيستفاد منهـــا في الشرب . وقد ذكر علماء اللغة ألفاظاً عديدة تتعلق بالحفر على اختلاف أنواعها ، وفي جملتها الحفر التي تتجمع فيها المياه . وذلك لكثرتها ولأهميتها في حياتهـم العملية ، إذ كانت على ضآلـــة بعضها ووسخ مائها ، غوثاً للمسافرين العطاشى الذين هم ودوابهم في آخـر رمق من الحياة . فهي تكون في مثل هذه الظروف هبة ولقطة لا تقدر بثمن .

ومن مواضع تجمع الماء في الحفر الأوقة ، وهي حفرة يجتمع فيها الماء،وجمعها

---

١ Beiträge, S. 54. ff.

٢ الهمداني ، صفة (١٩٩) . Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 113.

٣ البلاذري ، فتوح (٢٥ وما بعدها) .

أوق[1] . والوجيل والمَوْجل ، حفرة يستنقع فيها الماء يمانية[2] . والمرهة ، حفيرة يجتمع فيها ماء السماء[3] . والهَوْقة ، وهي حفرة كبيرة يجتمع فيها الماء ، وتألفها الطير[4] . و (الركية) البئر . وقد كانوا يتبردون بها في ايام الحر[5] . و (المركو) ، الحوض الكبير وقيل الحويض الصغير يسويه الرجل بيديه على رأس البئر اذا أعوزه إناء يسقي فيه بعيراً أو بعيرين[6] .

والنقر ، الغـــائر من الأرضين ، وهي موارد الماء في جزيرة العرب . اذا احتفرت ، ظهر الماء بسهولة في آبارها ،وقد تظهر البرك فيها . ومن هذه النقر ، موضع (معدن النقرة) ، منزل لحاج العراق بين أضاخ وماوان . فيه بركة ، وثلاث آبار ، بئر تعرف بالمهدي ، وبئران تعرفان بالرشيد ، يظهر أنها حفرت في أيام الخليفتين: المهدي والرشيد، وآبار صغار للأعراب . وعندها تفترق الطرق، فمن أراد مكة نزل المغيثة ، ومن أراد المدينة أخذ نحو العسيلة . ذكر أن هـــذا الموضع إنما سُمّي نقرة ، لأن النقرة كل أرض متصوبة في هبطة فهي نقرة[7] .

الحياض :

وقد ترك الجاهليون حياضاً واسعة كانوا أنشأوها في مواضع كثيرة من اليمن وبقية العربية الجنوبية لخزن الماء فيها للاستفادة منها أيام الجفاف . فإذا ما تساقطت الأمطار ، سالت الى هذه الحياض ، وبعضها عميق واسع لا تنضب منها مياهها طوال السنة . وقد أحيطت هذه الحياض بجدران متينة من الصخور صفت ورتبت على هيـــأة مدرجات ، حتى إذا انخفض الماء أمكن لمن يريد الاستسقاء منها أن

---

١ « الاوقة بالضم : الركية مثل البالوعة في الارض ، خليقة في بطون الاودية ، وتكون في الرياض أحيانا . تسمى اذا كانت قامتين أوقة . فما زاد وما كان أقـــل من قامتين ، فليست بأوقة . وفمها مثل الركية وأوسع أحيانا . وهي الهوة » ، تـــاج العروس (٢٨٢/٦) .

٢ تاج العروس (١٥٣/٨) .

٣ تاج العروس (٤١١/٩) .

٤ المخصص (٤٧/١٠ وما بعدها) ، تاج العروس (٩٧/٧) .

٥ تاج العروس (١٥٥/١٠) ، (ركا) ، جامع الاصول (٣٢١/٩) ٤

٦ تاج العروس (١٥٥/١٠) ، (ركا) .

٧ تاج العروس (٥٨٢/٣) ، (نقر) .

ينزل على هـــذه الدرجات حتى يبلغ الماء ولا يزال بعض هذه الحياض موجوداً يستعمله الناس . وقد وصف السوّاح الذين زاروا اليمن بعضها وتحدثوا عنها وعن أبعادها وعن طرق بنائها وهندستها [1] .

ولمنع تسرب المـــاء من الحوض ، يسدّ ما بين الحجـــارة من منافذ بالمدرة المعجونة ، وتطلى أوجه الجدر بمادة تغطيها مثل الصهريج لمنع تسرب الماء وخروجه الى الخارج ، كما يبلط قاع الحوض ويطلى كذلك . وتوضع حجارة تنصب حول الحوض ، ويسد ما بينها بالمدرة ، ويقال لذلك النصيبة . ويمدر الحوض اذا طين وسُدّ خصاص ما بين حجارته ، كما يعبر عن ذلك بلفظة اللوط . ويوضع الإباد حول الحوض ، أي التراب ، لدعمه وتقويته . وقد ترفـــع جدر الحوض فوق الأرض ، وتعمل فيه صنابير لخروج الماء فيها ، وقد تنشأ فيها حنفيات لأخذ الماء منها . تعمل من المعدن أو الحجارة [2] .

وقد عثر على ميازيب ومثاعب حجر نحتت نحتاً جميلاً ، وضعت في جدران الأحواض ، ليسيل منها الماء [3]. وقد صنعت مواضع مسايل بعضها على هيأة رؤوس حيوانات فتحت أفواهها ، ومن هذه الأفواه المفتوحة يتساقط المـــاء . ولا يزال بعضها في هيأة حسنة ومستعملة حتى الآن . واستعملت بعضها في السطوح لسيلان الأمطار منها ، كما عثر على صخور منحوتة نحتاً جميلاً جداً كانت تكوّن الواجهة الظاهرة من جدران الحياض . وقد نحت بعضها على شكل صور حيوانات بارزة أو أوجه حيوانات ، ونحت بعضها على صور أوراق نبـــات وأغصان أعناب أو عناقيد أعناب وما شابه ذلك من أجزاء النبات .

وثعب الماءُ سالَ ، ومنه اشتق مثعب المطر . والثعب مسيل الوادي ، ومنه مثاعب المدينة ، أي مسايل مائها . والمثعب المرزاب [4] .

وتعمل الأحواض لشرب الإبل وغيرها . وقد يوضع في وسطها حجر ، يكون مقياساً للماء ، يقال له (القداس) إذا غمره الماء رويت الإبل ، أو هـــو حجر يطرح في حوض الإبل ، يقدّر عليه الماء ، يقتسمونه بينهم . وقيل هو حصاة ،

---

١ Carl Rathjens, Sabaeica, I, Teil, Hamburg, 1953, 113.

٢ المخصص (١٠/٤٩ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (١/١٤٧) ، (أزب) .

٤ تاج العروس (١/١٦٣) ، (ثعب) .

توضع في الماء قدر الري للابل ، أو يقسم بها الماء في المفاوز[1] .

وفي كتب اللغة ألفاظ عديدة أطلقت على الحوض ، بحسب شكله واتساعه وعمقه منها الحوض المركو . أما المقراة ، فالحوض العظيم . وأما الجرموز ، فالحوض الصغير ، وقيل هو حوض مرتفع الأعضاد . والنضيج الحوض ، وخصه بعضهم بالحوض الصغير . والجابية الحوض كذلك . وأما الشَّرَبَة فالحوض يجعل حول النخلة يملأ ماء ، فيكون ري النخلة . والحضج الحوض[2] .

ويقال لموضع تجمع الماء ، والمكان الذي يخزن فيه فيكون على هيأة بحيرة صغيرة أو حوض (بحرت) ، (البحرة)[3] . ولا يزال أهل الشأم يطلقون لفظة (بحرة) على حوض الماء الذي يقيمونه في أفناء دورهم ، للتمتع بمنظره وبمنظر الماء الذي يتدفق منه . وقد يضعون الأسماك فيه . وقد وردت اللفظة في هذه الجملة : « وصرح ثبرن وبحرت بموثب احلين »[4] ، ومعناها : « وأعلى حصن ثبر ، والبحرة الكائنة في أسفل السلالم » . ويظهر ان أصحاب الحصن كانوا قد أقاموا (بحرة) عند قاعدة السلالم التي ترتقي الى الحصن،وذلك من أجل نقل الماء منها الى أعلى للاستفادة منه ، ولاحمائه وسكبه على المحاصرين في أثناء الحصار[5] .

والمقرى والمقراة كل ما اجتمع فيه الماء من حوض وغيره ، وخصه بعضهم بالحوض . وذكر بعضهم ، ان المقراة المسيل ، وهو الموضع الذي يجتمع فيه ماء المطر من كل جانب . وقيل المقراة شبه حوض ضخم يقرى فيه من البئر ، ثم يفرغ في المقراة . وقريّ الماء مسيله من التلاع ، أو مجرى الماء في الروض[6] .

ويقال للموضع الذي يستنقع فيه الماء ، أي يجتمع : (النقيع) ، فإذا نضب الماء نبت فيه الكلأ[7] . و (المنقع) الموضع الذي يستنقع فيه الماء ، أي

---

١ تاج العروس (٤/٢١٣) .
٢ المخصص (١٠/٤٩) .
٣ « والبحرة مستنقع الماء » ، تاج العروس (٣/٢٨ وما بعدها) ، Glaser 1144, Halevy 353, Rep. Epigr. 647, II, p. 75.
٤ راجع نهاية الفقرة الثالثة من النص : Glaser 1144, Halevy 353.
٥ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 73.
٦ تاج العروس (١٠/٢٩٠) ، (قرى) .
٧ ارشاد الساري (٤/٢٠٦) .

يجتمع[1] . و (الحيل) الماء المتنقع في بطن واد[2] .

ويقال لموضع تجمع المياه في خزانات صغيرة لخزنها فيها وتوزيعها على السواقي (مزف) . تأتي المياه اليها من خزانات أخرى أكبر منها . فتخزن فيها لإعادة توزيعها . والفعل هو (زف) من (زفف) . وتطلق لفظة (زف) على مواد عمل ما . وأما العمل نفسه فيقال له (فعل)[3] .

وقد أشير في نص الى وجود (هور) أمـام (محفـد) ، اي حصن : (بقنو هور محفدهمو ذ معينن)[4] ، ومعناها : (أمام هور محفدهم « حصنهم » ذي المعين) . و (هور) في هذه الجملة هو (الهور) في عربيتنا . وهو (بحيرة تغيض فيها مياه . فتتسع ويكثر ماؤها) ، ويجمع على أهوار[5] . أما في النص ، فلا يراد به هذا المتسع الواسع من الماء ، بل يراد به حوض أو متجمع من الماء أوسع من البحرة ، كان أمام الحصن[6] .

وقد وردت لفظة (بركتن) أي البركة في اللهجات العربية الجنوبية كذلك ، ووردت لفظة أخرى هي (عسن) يظهر أنها تعني بركة كبيرة أو صهريج ماء تحت الأرض ، أو جملة برك تتصل بمأخذ أو مآخذ ، تتجمع فيها المياه[7] . وقد ذكر علماء اللغة أن البركة مثل الحوض يحفر في الأرض لا يجعل له أعضاد فوق صعيد الأرض . ويسمي العرب الصهاريج التي سويت بالآجر وصرجت بالنورة في طريق مكة ومناهلها بركاً . وربّ بركة تكون ألف ذراع وأقل وأكثر . وأما الحياض التي تسوى لماء السماء ، ولا تطوى بالآجر ، فهي الأصناع واحدها صنع[8].

وقد طليت جدران البرك الجاهلية بمادة متماسكة قوية ، ترى اليوم وكأنها قـد فرغ منها من عهد قريب . فلم تتشقق ولم تصب بتلف إلا قليلاً . فيهـا فتحات عملت لمرور الماء منها الى السواقي . وقد استعمل مثل هذه البرك لخزن الماء وللارواء

---

١ تاج العروس (٥/٥٣٠) ، (نقع) .
٢ تاج العروس (٧/٢٩٨) ، (حيل) .
٣ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 100.
٤ Langer I, Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 37.
٥ تاج العروس (٣/٦٢٤) ، (هور) .
٦ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 37.
٧ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 114.
٨ تاج العروس (٧/١٠٦) ، (برك) .

في الوقت نفسه.وتمكن الاستفادة منها إذا ما نظفت من المواد الزائدة التي تراكمت فيها وأدخلت عليها بعض الإصلاحات[1] .

و (الأضاة) الغدير ، والماء المستنقع من سيل أو غيره[2] . والغدير مستنقع الماء ، ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً ، غير أنه لا يبقى الى القيظ إلا ما يتخذه الناس من عـــدّ ووجد أو وقط أو صهريج أو حائر . والعدّ الماء الدائم الذي لا انقطاع له . ولا يسمى الماء الذي يجمع في غـدير أو صهريج أو صنع عداً ، لأن العدّ ما يدوم مثل ماء العين والركية[3] . ويعبر عن (الغدير) بـ (النهي)، وقيل النهي الغدير حيث يتحير السيل فيوسع ، وكل موضع يجتمع فيـــه الماء أو الذي له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه[4] .

وفي كتب اللغة ألفاظ عديدة أطلقت على النهيرات والسواقي المتفرعـــة منها . ومنها الشراج ، جمع شرج،وهي مسايل الماء من الحَزْن الى السهل . والأربعاء، وهي مسايل ومساقي يسقى منها النخيل والبساتين ، ويزرع على جانبيها[5] . وأما (الجعافر) ، فقيل : (الجعفر) النهر ، وقيل هو النهر الصغير ، وقيل هو النهر الكبير الواسع : وقيل النهر الملآن ، أو فوق الجدول[6] .

ويقال للجدول الربيع في عربية القرآن الكريم ، ويجمع على (أربعاء)[7].وأهل المدينة يغرسون الشجر على جانبيه . ويقال له أيضاً (السعيد) . ويراد به النهير الذي يسقي المزرعة . وقد ورد في الحديث : « كنا نزارع عـــلى السعيد »[8] . و (الجدول) النهر الصغير[9] . ويقال لأوائل الجداول (أقبال الجداول)[10] . وأما السواقي بين الزروع ، فتسمى (دبار)[11] .

---

١ Sabaelca, I, S. 84.
٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٦) .
٣ تاج العروس (٣/٤٤١) ، (غدر) .
٤ تاج العروس (١٠/٣٨١) ، (نهى) .
٥ عمدة القارىء (١١/٢٠٠ وما بعدها) .
٦ تاج العروس (٣/١٠٤) ، (جعفر) .
٧ تاج العروس (٥/٣٤٢) ، (ربع) ، جامع الاصول (١١/٣٧٠ وما بعدها) .
٨ تاج العروس (٢/٣٧٨) ، « سعد » .
٩ تاج العروس (٧/٢٥٤) ، (جدل) .
١٠ جامع الاصول (١١/٤٧٨) .
١١ تاج العروس (٣/٢٠٠) ، « دبر » .

ويطلق أهل اليمن على ساقية الماء والجدول الصغير (الغيـــلَ) ، وهي من الألفاظ القديمة المستعملة في الري . وفي اليمن جملة أغيال ، يقل ماؤها عنـــد انحباس المطر ، ويزداد عند هطوله في مواسمه . ويشرب أهل صنعاء من مياه الغيل المسمى (الغيل الأسود) ، ويزرعون عليه[1] . وذكر علماء اللغة ان الغيل المـــاء الجاري على وجه الأرض ، وقال بعضهم ما جري من المياه في الأنهار والسواقي . وأما الذي يجري بين الشجر ، فهو (الغلل) . « وفي الحديث ما سقي بالغيل ففيه العشر ، وما سقي بالدلو ، ففيه نصف العشر »[2] .

الأودية :

والأودية هي من أهم مناطق الماء والخصب في جزيرة العرب ، وذلك لوجود الماء بها قريباً من سطح الأرض في الغالب ، وقد يخرج الى وجه الأرض . ولهذا نجد فيها مواضع عديدة خصبة ذات مزارع ونخيل منتشرة كأنها الجزر في البحار. وهي في الأصل مسايل ماء ، حفرتها الأمطار والسيول المنهمرة على الجبال والهضاب والتلال ، في سيرها نحو الأماكن المنخفضة ، وعملت لها منافذ سارت مياهها منها. و (الوادي) ، هو (سر) (س ر) في العربية الجنوبية[3] . وذكر علـــماء اللغة أن (السرّ) بطن الوادي وأطيبه وأفضل موضع فيه ، وكذلك سرارة الوادي، أي بالمعنى الوارد من اللفظة في المسند ، أو قريب منه[4] .

ومن أودية جزيرة العرب : وادي الحمض ، ووادي الدواسر، ووادي الرمة، ووادي حنيفة ، ووادي تبالة ، ووادي رنية ، ووادي تربـة ، وغيرها مما يرد في كتب (الجغرافيا) وما ألّف في وصف جزيرة العرب ، أو وصف بقاعها، وفي كتب البلدان .

ولهذه الأودية فضل لا ينكر في ظهور مواطن الحضارة في جزيرة العـــرب ، ففي بواطنها وعلى جانبيها قامت مواطن استيطان منها نبتت الحضارة الأعرابيـــة

---

١ تاج العروس (٨/٥٣) ، العظم (١/٨٥ ، ١٠٣) .
٢ تاج العروس (٨/٥٣) ، (غيل) .
٣ Mordtmann und Mittwoch, Alt. Sab. Inschr., S. 9.
٤ تاج العروس (٣/٢٦٣) ، (سرر) .

في جزيرة العرب ، حضارة تمثل مرحلة متقدمة بالنسبة الى الحياة الأعرابية، عمادها الزراعة وتربية الحيوان . وهي تثبت للمرء بجلاء ان سبب انتشار الأعرابيـــة في جزيرة العرب ؛ هو الجفاف الذي غلب عليها وندرة وجود الماء بها ، وان الماء لو توفر بها ، لكان نصيبها في الحضارة مثل نصيب غيرها من البلاد التي تقدمت في ايامها وازدهرت ، فلما ظهر الماء في هذه المواضع ، ظهر السكن والاستقرار، ولو رزق العرب سكان جزيرة العرب ما رزق غيرهم من جو طيب، ومن أرض خصبة ذات أنهار وماء ، كان شأنهم غير هذا الشأن ولا شك .

ويقال للوادي (العقيق) . وذكر أن العقيق كل مسيل شقه ماء السيل فأنهره ووسعه[1] . أي في معنى وادي . والأعقة من مواضع الخصب والزرع في جزيرة العرب ، إذ تكون المياه فيها قريبة من سطح الأرض . منها عقيق اليمامة ، وهو وادٍ واسع مما يلي العرمة ، تتدفق فيه شعاب (العارض) ، وفيه عيـــون عذبة الماء ، وموضع بتهامة ، وموضع بنجد ، يقال له عقيق القنان ، تجري اليه مياه قلل نجد وجباله ، والعقيق ، ستة مواضع أخر ، وهي أودية شقتها السيل عادية منها عقيقان في بلاد بني عامر من ناحية اليمن . ومن الأودية المشهورة : وادي العتيق بالحجاز[2] . و (العرمة) أرض صلبة تناخم الدهناء ويقابلها عارض اليمامة[3] .

والأودية هي من أخصب المواضع في جزيرة العرب ، حتى إن كانت جافة في معظم أيام السنة ، وذلك لخصب تربتها ، ولقرب الماء فيها من سطح الأرض، ولوجود العيون والبرك في بعض منها . وهي قبلة أنظار الأعراب والرعاة بعد نزول الغيث وامتلائها بالسيول ، إذ يظهر فيها الكلأ : وتبقى في حفرها المياه ، فتكون بركاً للشرب .

وقد زرع أهل وادي (مهزور) على مياهه ، ويستمد هذا الوادي ماءه من السيل ، وكذلك وادي (مذينيب) . ومن (مهزور) الى (مذينيب) شعبة يصب فيها[4] . ويسيلان بماء المطر خاصة ، و (مهزور) هو وادي (بني قريظة) ، وقد كان يحدث اختلاف فيما بين المزارعين في حقوقهم في المـــاء ، ولا سيما في

---

١ تاج العروس (١٥/٧) ، (عق) .
٢ تاج العروس (١٥/٧) ، (عق) .
٣ تاج العروس (٣٩٥/٨) ، (عرم) .
٤ البلاذري ، فتوح (٢٣ وما بعدها) .

ايام انحباس المطر أو أيام نزوله بشح ، واستغلال أهل الأرضين العالية للسماء ، مما يسبب انقطاعه عن الأرضين الواطئة الواقعة على مسايله . وقد كان (مهزور) يهدد المدينة بالغرق عند سقوط الأمطار بشدة وتكوينها سيولاً طاغية ، ولما هدد المدينة بالغرق في خلافة (عثمان) اتخذ له ردماً[1] . وقد هدد المدينة مراراً بالغرق، ولما كاد ان يغرقها سنة (١٥٦ هـ) حفرت الحكومة له منسوباً ، غاص منه الماء الى وادي بطحان[2] . وقد قضى الرسول في سيل (مهزور) ان لأهل النخل الى العقبين ، ولأهل الزرع الى الشراكين ، ثم يرسلون الماء الى من هو أسفل منهم[3].

و (بطحان) هو أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق وبطحان وقناة[4] .

الأنهار :

وليس في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر ، مثل نهر دجلة أو الفرات أو النيل ، بل فيها أنهار صغيرة أو جعافر . وهي لذلك لم تستفد من نعم الأنهار الكبيرة التي نعمت بها البلاد الأخرى ، ولم تسعد بسبب ذلك بظهور المجتمعات الكبيرة بها ، ولا بظهور الحضارة فيها ، لأن الحضارة الراقية لا تكون ولا تنمو إلا في المجتمعات الكبيرة ، حيث تتوفر بها بذور الحضارة والثقافة ، ولا تظهر هذه البذور مع وجود الجفاف وفقدان الماء أو قلته .

ومن الأنهار الصغيرة التي نجدها في اليمن نهر الخارد . وكان السهل الذي عاش فيه المعينيون،وبنوا فيه عاصمتهم يسقى بهذا النهر ، وتنبت فيه مختلف النباتات والزروع ، وكان يصل الى مقربة من العاصمة وربما تجاوزها الى مواضع أخرى ٥ ولا تزال هذه المنطقة تعدّ من المناطق الزراعية الجيدة ، وقد تحول قسم منها بسبب الجفاف الذي حلّ بها الى مناطق تعلوها كثبان رملية ، ومناطق قاحلة ، بعد ما كانت من أجود الأرضين لأهل معين[5] .

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (٢٤) .
٣ تاج العروس (٣/٦٢٠) ، (هزر) ، البلاذري ، فتوح (٢٤) .
٤ تاج العروس (٢/١٢٥) ، (بطح) .
٥ محمد توفيق ، آثار معين في جوف اليمن (ص ٤ وما بعدها) ، من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، سنة ١٩٥١ م .

ومن أنهار اليمن الأخرى ، مَوْر ، وهو من أغزر أنهار اليمن ماءً وأكبرها، وهو بالقرب من وادي (صبيا) . ينبع من جبال الهضبة الى جنوبي صعدة ، وتصب فيه أودية من (عمران) و (حجة) ، ويمر من جبال (حجة) وجبال (حجور) في اتجاه البحر الأحمر حيث يصب به شمال (اللحية) . وتجري الأقسام الشرقية من هذا النهر في أكثر أيام السنة [1] .

وسُردد ، واد متسع بتهامة اليمن ، مشتمل عـلى قرى ومـدن وضياع [2] . ويتألف من فروع تنبع من جبال (كوكبان) ومن جبال حضور وحراز ، ويصب في البحر الأحمر شمـال (الحديدة) [3] . ووادي سهام واد ينبع من جبال خولان وآنس ، ماراً بجنوبي جبال حراز ، ثم يصب في البحر الأحمر جنوبي الحديدة [4]. وبه مياه حارة [5] . ووادي (أذنة) من أودية سبأ ، وهو الذي كان يموّن سد مأرب بالماء . ومن أودية اليمن الأخرى : رزان ، و (رمع) (رماع) ، وهو متصل بوادي سهام ووادي مور ، مشتمل على عـدة قرى [6] ، وشرس ، و (ريمة) و (زبيد) . وتعرف هذه الأنهار بـ (وادي) في اصطلاح أهل اليمن [7] .

و (الدبل) الجدول من جداول الأنهار . وانما سميت الجداول دبولاً لأنها تدبل ، أي تصلح وتجهز وتنقى . ومنه الحديث انه غدا الى النطاة ، وهي من حصون خيبر ، وقد دل على مشارب كانوا يسقون منهـا دبول . كانوا ينزلون اليها بالليل فيتروون من الماء ، فقطعها ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى أعطوا بأيديهم [8].

وتكرى الأنهار وموارد المياه الأخرى ، لاستخراج الطمي منها ولتعميقها حتى

---

١ تاج العروس (٣/٥٥٠) ، (مار) ، زيد بن علي عنان ، تاريخ اليمن القديم (ص ١٠) ، (المطبعة السلفية) ، (القاهرة) .
٢ تاج العروس (٢/٣٧٥) ، (سرد) .
٣ تاريخ اليمن القديم (١١) .
٤ تاريخ اليمن القديم (١١) .
٥ الصفة (١٠٥) .
٦ تاج العروس (٥/٣٦٢) ، (رمع) .
٧ الدكتور أحمد فخري ، اليمن ماضيها وحاضرها (ص ٥) .
٨ تاج العروس (٧/٣١٧) ، (دبل) .

لا يسيل الماء على حافات مورد الماء[1] . وكانوا يكرونها بالمساحي، ويرمون الطمي على الجانبين .

وإذا جرى الماء على وجه الأرض قيل له (السيح) . وباليمامة ثلاثة أودية بأقصى العرض ، عرف كل واحد منها بسيح ، ونسب الى أهلـه أو مكانه[2] . وقد أشار (الهمداني) الى « السيح يجري تحت النخل والآبار »[3] ، وقصد به الماء الجوفي . وأشار الى (سيح الغمر)[4] والى سيح دعاه سيح ابن مربع ، ذكر أنه كان غزيراً ثم انقطع بضعف أهله[5] . وذكر اسم سيح آخر دعاه سيح قشير، ويسمى أيضاً بسيح اسحاق[6] .

الحسي[7] :

وينتفع من الأحساء والرحاب في الزراعة، وذلك باستنباط مياهها الجوفية المنحسرة عن قشرة الأرض بمسافة غير بعيدة ، والتي قد تظهر على سطح الأرض وتسيل . والحسي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو غلظ فوقه رمل يجمع مـاء المطر . وفي جزيرة العرب أحساء كثيرة ، منها أحساء بني سعد بحذاء هجر بالبحرين ، وأحساء خرشاف ، بسيف البحرين ، وأحساء بني وهب ، على خمسة أميال من المرتمى فيه بركـة ، وتسعة آبار كبار وصغار بين القرعاء وواقصة على طريق الحاج ، والأحساء ماء لغنى ، والأحساء ماء باليمامة ، وأيضاً ماءة لجديلة طيء بأجأ[7] . والأحساء التي على الخليج ، هي من أهم هذه الحسي في الوقت الحاضر. وهي وحدة ادارية في المملكة العربية السعودية ، بها عيون تفيض مـاءً ، تروي بساتين النخيل والأشجار الأخرى .

و (البئر) يشبه الأحساء ، يجري تحت الحصى على مقدار ذراع أو ذراعين

---

١ تاج العروس (١٠/٣١٢) ، (كرى) .
٢ تاج العروس (٢/١٦٨) ، (السيح) .
٣ الصفـة (١٥٩) .
٤ الصفـة ((١٥٠) .
٥ الصفـة (١٤٨) .
٦ الصفـة (١٦٠) .
٧ تاج العروس (١٠/٨٩) ، (حسى) .

ودون الذراع ، وربما أثارته الدواب بحوافرها[1] . والباثر من الماء البادي من غير حفر . والبئر أرض سهلة رخوة . وذكر بعض علماء اللغة ان البثور الأحساء وهي الكرار[2] . وذكر بعضهم ان (الكرار) البئر ، أو الحسي ، أو موضع يجمع فيه الماء الآجن[3] .

وقد تنبع العيون في مواضع رملية ، فلا تمكن الناس من الاستفادة من المـاء فائدة كبيرة تخرج من جوف رمل من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماءً ، تجري في رمل فلا تمكن الزرّاعين عليها إلا في مواضع يسيرة من أحناء الرمل ، فيها نخيل ، وتتخذ البقول والبطيخ ، وتسمى هذه العين (البحير)[4] .

وتكون تربة الرحبة خصبة ، ولهذا صارت مواطن صالحة للزراعة لو استنبطت مياهها التي في جوف الأرض القريبة من السطح ، لأفادت في توطين الأعراب . والرحبة في تعريف علماء اللغة « من الوادي مسيل مائـه من جانبيه فيه . جمعه رحاب . وهي مواضع متواطئة يستنقـع الماء فيها ، وهي أسرع الأرض نباتاً ، تكون عند منتهى الوادي وفي وسطه ، وقد تكون في المكان المشرف يستنقع فيها الماء وما حولها مشرف عليها ، ولا تكون الرحاب في الرمل ، وتكون في بطون الأرض وفي ظواهرها »[5]. والرحبة الأرض الواسعة المنبات. ومن الرحاب المشهورة: (الرحبة) حذاء القادسية ، وواد قرب صنعاء ، وناحية بين المدينة وبلاد الشأم قرب وادي القرى ، ورحبة باليمامة ، تعرف برحبة الهدّار ، وصحراء بها أيضاً فيها ماء وقرى[6] . وقد وجدت كتابات جاهلية في بعض هذه الرحاب ، تشير الى سكن أناس فيها ونزولهم هناك قبل الاسلام .

والنُقرة الوهدة المستديرة في الأرض ليست بكبيرة يستنقع فيها الماء[7] .

و (الحفر) الموضع فيه ركايا محفورة ، يستقى منها الماء . منها (حفر ضبّة)، وهي ركايا بناحية (الشواجن) بعيدة القعر عذبة المـاء[8] . والشواجن ، وادٍ

---

١ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤١٠ ، ٤٢١) ، تاج العروس (٣/٢٥) ، (بثر) .
٢ تاج العروس (٣/٢٥) ، (بثر) .
٣ تاج العروس (٣/٥١٩) ، (كرّ) .
٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٨) .
٥ تاج العروس (١/٢٦٨) ، (رحب) .
٦ تاج العروس (١/٢٦٨) ، (رحب) .
٧ تاج العروس (٣/٥٨١) ، (نقر) .
٨ تاج العروس (٣/١٥٢) ، (حفر) .

كبير بديار ضبة في بطنه أطواء كثيرة ، منها الصاف واللهابة وثبرة ، ومياهها عذبة[1] . ومنها (حفر سعد بن زيد مناة بن تميم) ، بحذاء (العرمة) وراء الدهناء يستقي منها بالسانية[2] .

و (القلت) النقرة في الجبل تمسك الماء ، وقيل كل نقرة في أرض يستنقع فيها الماء . وإذا سالت السيول ملأت القلات . وفي الحديث ذكر لقلات السيل[3]. ومثلها (الوقب) . وهي نقرة في الجبل أو في الصخر يجتمع فيها الماء كالوقبة، أو هي نحو البئر في الصفا تكون قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء[4] .

الآبار :

وفي الأماكن التي تكون المياه الجوفية فيها غير بعيدة عن سطح الأرض،ويكون من السهولة حفر الآبار فيها ، يحفر الناس آباراً في بيوتهم وفي أملاكهم للشرب والزرع إن كانت عذبة وللتنظيف والاستعمال . ويستعان بالخدم وبالسقائين في جلب مياه الشرب من الآبار العذبة والعيون والنهيرات . كما حفروا الآبار في الحصون . وقد كانت في حصن الهجوم بئر عظيمة عميقة ، عذبة الماء . وقد بني الحصن من حجارة ضخمة ذكر أن طول الحجر منها سبع أذرع في عرض ثلاثة أذرع ، وأقام أصحابه عليه الأسوار والأبراج . وقد فتح في أيام الرسول[5] .

و (البئر) هي (بار) في كتابات المسند . والجمع (ابار) أي (آبار) . وقد وصلت الينا نصوص عديدة في حفر آبار أو في شرائها وبيعها ، وفي تعميرها وإصلاحها . وهي ثروة ورأس مال كبير في جزيرة العرب،تحيي الأرض وتميتها. وتفني الناس وتميتهم ، ولذلك كانوا اذا حفروا بئراً أو اذا ظهرت لهم مياه عذبة غزيرة ، يقدمون الى آلهتهم الشكر والحمد والنذور. وقد أقامت الآبار الكبيرة العميقة العذبة مدناً . وأماتت مدناً بسبب نضوب مياهها وجفافها ، وهي على هذه الأهمية الخطيرة الى الآن .

---

١ تاج العروس (٩/٢٥١) ، (شجن) .
٢ تاج العروس (٣/١٥٢) ، (حفر) .
٣ تاج العروس (١/٥٧٢) ، (قلت) .
٤ تاج العروس (١/٥٠٥) ، (وقب) .
٥ ابن المجاور (١/٢١) .

وللأهمية المذكورة للآبار في حياة العرب ، كثرت في لغتهم المصطلحات الخاصة بها ، من أسماء لأنواع الآبار ومن مصطلحات للحفر ولوسائل الحفر ، ومن ألفاظ للمواد التي تستعمل في بناء البئر وفي استخراج الماء منها ، ومن كلمات تشير الى أبعاد البئر ، ومقدار ما فيها من ماء ، وأبعاد أفواهها . ومن أسماء البئر (الطوى) و (الطوية) ، اذا بنيت بالحجارة[1] . و (الجب) ، البئر ، وقيل البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر ، ولا تكون جباً حتى تكون مما وجد ، لا مما حفره الناس[2] . و (القليب) البئر ما كانت . وقيل : البئر قبل ان تطوى ، فإن طويت فهي الطوي ، أو العادية القديمة منها التي لا يعلم لها رب ولا حافر يكون في البراري[3]. وقد عرفت بـ (الرس) كذلك[4] .

ومن أنواع الآبار التي ذكرها علماء اللغة : الشبكة ، ويراد بالشبكة الآبار المتقاربة والأرض الكثيرة الآبار . وأما (الفُقُر) ، فهي ركايا تحفر ثم ينفذ بعضها الى بعض حتى يجتمع ماؤها في ركي . واذا اجتمعت ركايا ثلاث فما زاد الى ما بلغ من العدة قيل له (فقير) ، ولا يقال ذلك لأقل من ثلاث . وورد ان الفقير فم القناة ، والمكان السهل تحفر فيه ركايا متناسقة ، وفم القناة التي تجري تحت الارض ، ومخرج الماء منها[5] . وأما (الكظامة) ، فإنها بئر الى جنبها بئر بينهما مجرى في بطن الارض . وقيل : كل ما سددت من مجرى ماء أو باب أو طريق ، فهو كظم ، والذي يسدّ به الكظامة . وقيل : هي آبار متناسقة تحفر ويباعد ما بينها ، ثم يخرق ما بين كل نهرين بقناة تؤدي الماء من الأولى الى التي تليها تحت الأرض فتجتمع مياهها جارية ثم تخرج عند منتهاها فتسيح على وجه الأرض[6] .

و (الجفر) البئر التي ليست بمطوية ، وتجمع على جفار . وأما (الجدّ) ، فالبئر الجيدة الموضع من الكلأ ، والجمع أجداد ، والملك البئر ينفرد بها الرجل ،

---

١ تاج العروس (١٠/٢٢٩) ، (طوي) .
٢ تاج العروس (١/١٧٢) ، (جبب) .
٣ تاج العروس (١/٤٣٧ وما بعدها) ، (قلب) .
٤ المخصص (١٠/٢٤) .
٥ تاج العروس (٣/٤٧٤) ، (فقر) .
٦ تاج العروس (٩/٤٧) ، (كظم) ، المخصص (١٠/٣٤ وما بعدها) .

والبود البئر كذلك[1] . والسهبرة من أسماء الركايا[2] . و (القليب) البئر ما كانت ، والبئر قبل ان تطوى ، فإذا طويت فهي (الطوي) ، أو العادية منها التي لا يعلم لها رب ولا حافر يكون في البراري[3] . و (الطوي) البئر المطوية بالحجارة[4] .

ومن المواضع التي عرفت بأطوائها موضع (الأطواء) باليمامة ، قرب (قر قرى) ، ذو نخل وزرع كثير[5] .

وقد تكون الآبار ذات مياه غزيرة كبيرة ، تخص المدينة بأسرها ، أو القبيلة بأسرها ، وقد تكون ملك أسرة تستغلها الأسرة لحسابها ، أو ملك فرد يستفيد منها مباشرة أو يبيع مياهها للناس،لاسقاء الأرضين أو الماشية . وقد تباع لأشخاص آخرين ، وقد تؤجر . وطالما كانت الآبار مصدر نزاع خطير بين القبائل وسبباً في إثارة الحروب .

و (العِدُّ) البئر لها مادة من الأرض ، فهي كثيرة الماء دوماً ولا تنزح . وأما (المفهاق) فإنها البئر الكثيرة الماء ، و (الغروب) الدلاء ، واحدها (غرب) وهي التي تجرها الإبل ، و (الاسجل) الواسع من الدلاء بمائها ، والغَلَل الماء الجاري يجري تحت النخيل،و (اليعبوب) النهر الجاري وتسلسله مضيه في جريته. و (الخسف) البئر ذات الماء الكثير[6] .

وقد اشتهرت بعض الآبار بغزارة مياهها ، ذكر (الهمداني) أن (بئر النقير) بناحية البحرين « على عشر قِيَم لا تنكش ، ويجتمع عليها كثير من وُرّاد العرب وربما سقى عليها عشرة آلاف بعير »[7] . وهناك آبار أخرى عرفت بغزارة مياهها .

وقد يحفرون سلسلة آبار يخرق أسافلها ، ليفرغ بعضها في بعض من موضع الماء . مثل (الهباءة) . وكانوا يزرعون عليها الحنطة والشعير وما أشبه[8] .

---

١ تاج العروس (٢/٣٠٧) ، (البود) .
٢ تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي (٨/٣٢٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٣/٢٨٥) ، السهبرة) .
٣ تاج العروس (١/٤٣٧ وما بعدها) ، (قلب) .
٤ تاج العروس (١٠/٢٢٩) ، (طوى) .
٥ تاج العروس (١٠/٢٢٩) ، (طوى) .
٦ العمدة (٩٤) .
٧ الصفة (١٦٣) .
٨ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٥) .

ولم يكن من السهل في ذلك الزمن حفر الآبار ، لعدم توفر الآلات والأدوات الفنية . فإن حفر البئر الى عمق بعيد الغور كما تتطلبه الأماكن المرتفعة يحتاج الى آلات كثيرة والى علم وتدبير وفن وذكاء في محافظة جدران البئر من الانهيار على الحفّارين ، وعلى الماء بعد الانتهاء من الحفر ، فتندثر ويذهب المجهود في حفرها عبثاً . هـذا ولا بد لمهندس الآبار من معرفة بطبيعة الأرض ومظنة وجود الماء فيها أو عدمه ومدى عمقه، فلا يعقل اقدام شخص على حفر بئر في أرض لا يعرف من أمرها شيئـاً . وحفر البئر في النجاد عمل مكلف باهظ ، فلا بد إذن من تخصص أناس بهندسة الآبار، ليقوموا بهذا العمل الذي لا يمكن القيام به ما لم يسنده علم وفهم .

وقد تخصص أناس بحفر الآبار وباختيار المواضع التي يحتمل وجود المياه العذبة بها . ولهم في ذلك علم ودراية وخبرة . وكانوا إذا قربوا من الماء احتفروا بئراً صغيرة في وسط البئر بقدر ما يجدون طعم الماء ، فإن كان عذباً حفروا بقيتها، ولذلك يقال (التعاقب) و (الاعتقام)[1] . فالاعتقام إذن عملية تجريبية لاختبار طعم ماء البئر وتجربته من حيث العذوبة والملوحة وعليها تتوقف عملية الحفر .

ومتى حفرت البئر ووصل الى الماء ، قيل : أمهت البئر ، وأموهت، وأمهيت. ويقال ابتأرت بئراً ، أي حفرتها . ويقال أيضاً : حفـرت البئر حتى نهرت ، أي بلغت الماء . واذا بلغ الحفارون الأرض الغليظة قيل : بلغت الكدية . واذا وصلوا موضعاً صعباً فصعب الحفر ، قيل : بلغ مسكة البئر . ويقال أجبلت ، أي انتهيت الى جبل . ويقال الصلود ، وهي الارض التي تحفـر فيغلب جبلها الحافر . فيصلد الحفر على الحافر لصعوبة الأرض . واذا حفر الحفارون حتى يبلغوا الطين ، فيقال عندئذ : أثلجت ، فإذا بلغ الماء ، قيل : أنبط ونبط . والنبط أول ما يظهر من ماء البئر حين تحفر . وإن بلغ الرمل ، قيل : أسهب ، وإن انتهى الى سبخة ، قيل : أسبخت . ويقال : تأثل البئر اذا حفرت البئر، وهزمت البئر حفرتها[2] .

ويتحايل الحفارون في الحفر اذا فوجئوا بصخرة أو أرض صلدة ، تمنعهم من

---

١ تاج العروس (٨/٤٠٣) ، المخصص (١٠/٤١) .
٢ المخصص (١٠/٤٠ وما بعدها) .

الاستمرار في الحفر . خاصة اذا كانوا قد بلغوا عمقاً بعيداً في باطن الارض . وقد كلفهم الحفر صرف مال كثير ، فإذا تركوه أصيب صاحب البئر بخسارة ، لذلك يتحايل الحفارون على الأرض بالتعريج في الحفر ، يمنة ويسرة ، للعثور على موضع ينزلون منه الى موضع وجود الماء ، ويقولون لذلك : (التلجيف) . ويراد به الحفر في جوانب البئر[1] .

وقد تنقر آبار صغيرة ضيقة الرؤوس في نجفة صلبة ، لئلا تهشم ، ويقال لمثل هذه الآبار المناقر . وأما المنقر ، فيراد بها البئر التي يكثر فيها الماء[2] . وفي بعض المناطق الصخرية والجبليـــة آبار منقورة تتجمع فيها مياه جوفية تنحدر اليهـــا من المواضع المرتفعة أو من مياه الامطار التي تتساقط على المواضع المرتفعة فتسيل الى أفواه تلك الآبار وتدخل اليها وتتجمع فيها ، فيستفيد منها الناس .

وفي جملة الألفاظ الواردة في الكتابات العربية الجنوبية والمستعملة في حفر الآبار وتوسيعها وتعميقها ، لفظة (حفر) ، وهي بالمعنى المفهوم منهـــا في عربيتنا . ولفظة (سنبط) ، ويقصد بها معنى (استنبط) ، من (نبط) ويراد بهـــا ظهور الماء واستخراجه من باطن الارض . وأما لفظة (سبحر)، فتعني (استبحر)، من أصـــل بحر ، بمعنى التعميق . ولا يزال حَفَرَةُ الآبار في العراق يستعملون لفظة تبحير البئر بمعنى تعميقهـــا[3] . وفسرت لفظة (ضفر) ، بمعنى الـــدعم بالحجارة ، أي كسوة جدار البئر بالحجارة[4] .

وللمحافظة على البئر من الانهيار بسبب رخاوة جدرانها وتساقط المياه الممتوحة منها ، عمدوا الى زبرها من قعرها الى أعلاها بالحجارة . ويعبر عن هذا الجدار بلفظة (كولم) (كول) في المـند . وبـ (جول) في عربيتنا . ورد في كتب اللغة : « الجول : جدار البئر »[5] . ويقال لمثل هذه البئر (المزبورة) أي المطوية

---

١ تاج العروس (٦/٢٤٣) ، (لجف) ، المخصص (١٠/٤١) .
٢ المخصص (١٠/٤٦) ، تاج العروس (٣/٥٨١) ، (نقر) .
٣ « يوم حفر وسنبط وسبحر » ، بمعنى « يوم حفر واستنبط وعمق » ، أو « حـين حفر واستنبط وعمق » ، النقش رقم ١٦ المنشور في (ص ٢٣) من كتاب « نقوش خربة معين » .
٤ نقوش خربة معين (ص ٢٣) .
٥ تاج العروس (٧/٢٦٧) . Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 28.

بالزبر . وأما (المعروشة) ، فالتي تطوى قدر قامة من أسفلها بالحجارة ، ثم يطوى سائرها بالخشب وحـــده ، وذلك الخشب هو العرش . فإن كانت كلها بالحجارة ، فهي مطوية ، وليست معروشة . وهناك تعابير أخرى تشير الى تبطين البئر وكساء جدرانها بمواد مقوية تمنعها ان تنهار . فإذا بنيت البئر بالحجـارة ، قيل بئر مضروسة وضريس ، وهو ان يسدّ ما بين خصاص طيّها بحجر ، وكذلك سائر البناء . ويقال الأعقاب للخزف الذي يُدخّل بين الآجر في الطي لكي يشتد. والوَسْب خشب يُطوى به أسفل البئر اذا خافوا ان تنهال ، والجمع الوسوب[1] . والحامية الحجارة تطوى بها البئر[2] .

وهناك ألفاظ عديدة ذكرها علماء اللغة للآبار التي تكثر مياهها أو تقل . فورد : بئر غزيرة بمعنى كثيرة الماء ، وورد بئر ميهة وماهة إذا كثر ماؤها ، والعيلم البئر الكثيرة الماء . والخَسيف التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كـــثرة ، وهي التي خسفت الى المـــاء الواتن تحت الارض ، ويقال بئر سجر ومسجورة بمعنى مملوءة ، وبئر ذات غيث أي مادة . والقيلذم ، البئر الكثيرة الماء ، وبئر مقيضة كثيرة الماء قد قيضت عن الجبل . والبئر الماكدة التي يثبت ماؤها على قرن واحد لا يتغير ، وإن كثر منها ، وان وضع عليهـــا قرنان أو أكثر ، غير أن ذلك إنما يكون على قدر ما يوضع عليها من القرون بقدر مائها ، وبئر مكود وماكدة لا تنقطع مادتها ، والهزائم الآبار الكثيرة الماء ، وبئر زغربة كثيرة الماء ، وبئر ذمة وذميم وذميمة كثيرة الماء كذلك ، والنقيع البئر الكثيرة الماء[3] .

ويقال حبض ماء البئر ، وذلك إذا انحدر ونقص ، ونكزت البئر أي قـــلّ ماؤها ، وبئر نزح ماء فيها ، وبئر مكول وهي التي يقلّ ماؤهـا فيستجم حتى يجتمع الماء في أسفلها ، واسم ذلك الماء المكْلَةُ ، وبئر قطعة وبئر ذمة قليلة الماء ، وبئر ضهول قليلة الماء ، والخليقة البئر التي لا ماء فيها ، وقيل هي الحفـيرة في الارض المخلوقة ، والضّغيط بئر تحفر الى جنبها بئر أخرى فيقلّ ماؤها ، وبئر قَرُوع قليلة الماء وهي كالضنون سميت بذلك لانها تقرع قرعاً كلما فني ماؤها ،

---

١ تاج العروس (١/٥٠٣) ، (وسب) .
٢ المخصص (١٠/٤٢ وما بعدها) .
٣ المخصص (١٠/٢٧ وما بعدها) .

وبئر رشوح وبروض وبضوض قليلة الماء[1] .

وتستخرج المياه من الآبار بالدلاء ، تربط بالحبال الى الأعمدة المثبتة فوق البئر. ويقال للعمود (عمد) (عامود) والجمع (عُمُد) و (أعمد)[2] . وأما (الدلو) وهو الوعاء أو القربة المصنوعة من الجلد في الغالب ، فيقال له (علبت) و (علبم) في المسند[3] ، تمتلىء بالماء حين دخولها في ماء البئر ، فتسحب وهي مملوءة به . فإذا بلغت موضع سكب الماء سحبت الى ذلك المكان لتفريغ مائها فيه ، فينساب الى (مسقيت) أي (مسقية) ، بمعنى الساقية لإرواء المزرعة ، أو لايصاله الى المدينة أو البيوت .

وأما الآلة التي تعلق عليها الدلاء والمتصلة بالأعمدة فتعرف بـ (اعرز) في المسند[4] . ويقال للدولاب الذي يستقى عليه : المنجنون ، وذلك في عربيتنا[5] .

ويقال لتفريغ الركية وأخذ ما فيها من ماء (حبض) في لغة المسند . وهي بهذا المعنى أيضاً في عربية القرآن الكريم . والاحباض ان يذهب ماء الركية فلا يعود ، و (أحبض الركية) احباضاً ، فلم يترك فيها ماء[6] .

ولا بد للدلاء من حبال قوية متينة تتحمل الاحتكاك بينها وبين البكرة وتساعدها في حمل الدلو . وهذه الحبال تتخذ من مواد مختلفة ، تفتل وتبرم ، والعادة ان يقوى الحبل بجملة حبال تبرم بعضها فوق بعض وتشد شداً قوياً لئلا تتهرأ بسرعة فينقطع . وقد يتكون الحبل الواحد من مجموع عشرة حبال . أما مادة الحبل فالليف والخوص والجلود ولا سيما جلود الإبل والابق والمصاص ، وهو نبات ، ولحاء الشجر والقنب ، ومشاقة (السلْب) ، وهو ضرب من الشجر ينبت متسلقاً فيطول . ويؤخذ فيحل ثم يشقق فتخرج منه مشاقة بيضاء كالليف يتخذ منها أجود ما يكون من الحبال . وقد تصنع من القطن ومن ليف جوز الهند[7] .

---

١ المخصص (١٠/٣٩ وما بعدها) .
٢ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 115, 152.
٣ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 132.
٤ CIH 303, Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 131.
٥ تاج العروس (٩/١٦٦) ، (جنن) .
٦ تاج العروس (٥/١٨) ، (حبض) .
٧ المخصص (٩/١٧٠ وما بعدها) .

ولفتل الحبال تستعمل المغـــازل والمبارم ، لغزل الالياف وبرمها بعضها فوق بعض ، كما تستعمل بعض المواد المقوية للألياف مثل الزيوت لتحافظ عـــلى قوة الحبل وعلى تماسكه فتبقيه طرياً، فلا ينقطع بسهولة . وقد تخصص أشخاص بصناعة الحبال وعاشوا عليها ، وقد كانت ذات أهمية بالنسبة لذلك الزمن .

ويقال للدلو العظيمة : (الغرب) . ويتخذ من مسك ثور ، والغرب الراوية[1]. و (السانية) الغرب وأداته ، والناقة إذا سقت الارض ، وسنيت الدابة ، إذا استقى عليها ، والقوم يسنون لانفسهم إذا استقوا[2] . والسنايـة والسناوة السقي ، وهو سان . والساني ، يقع على الرجل والجمل والبقر ، كما أن السانية على الجمل والناقة . والمسنوية ، البئر التي يسنى منها ، وركية مسنوية ، إذا كانت بعيـــدة الرشاء لا يستقى منها إلا بالسانية من الإبل[3] .

وتستخدم الثيران والجمال والحمير والبغال في مَتْح الماء بالدلاء من الآبار الكبيرة الواسعة لسقي المزارع والبساتين والناس ، ويشرف على ذلك العبيـد أو الفلاحون أو أصحاب البئر . أما الآبار الصغيرة الخاصة بشرب الناس ، فيستخرج الماء منها الإنسان ، وتصب الدلاء المياه في أحواض أعدت لذلك ، لها منفذ يسيل منه الماء الى السواقي .

وقد تحمى البئر من الأدران ومن الأتربة ومن أخذ الماء منها ، بإقامة بنـــاء فوقها على هيأة غرفة ، فإذا أقيم ذلك على البئر عرف بـ (منشا) في المسند . وقد تؤدي هذه اللفظة معنى أخذ الماء وتوجيهه الى الجهة المراد ارسال الماء اليها بمجرى يأخذ ماءه من (فنوت)[4] . وفسرت لفظة (ثقول) بمعنى تعليق . وتعليق شيء فوق بئر ، أو انشاء سقف فوقها لحماية البئر ولتعليق الأدوات التي يمتح بها الماء من البئر عليهـــا ، وذلك كما في هـــذه الجملة : (ابارسم وثقولسم) ، ومعناها : (وكل آبارهم وسقوفها) أو (وكل آبارهم والأعمدة المقامـة فوقها للاستقاء بها)[5] .

---

١ تاج العروس (١/٤٠٥) ، (غرب) ، الخراج (٩٦) ، المبرد ، الكامل (٢/٧٣٢) .
٢ تاج العروس (١٠/١٨٥) ، (سنى) .
٣ تاج العروس (١٠/١٨٦) ، (سنى) .
٤ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 113.
٥ Kat. Texte, II, S. 28.

وتتعرض الآبار لسقوط الأتربة والرمال فيها ، وقد تنهـار جدرانها فينضب ماؤها ، ولا تمكن الاستفادة منها إلا بنزحها . ويقـال لنزح البئر جهرت البئر واجتهرت ، أي نزحت . وقيل المجهورة المعمورة منها عذبة كانت أو ملحة[1] . ولا بد من نزح هذه الآبار دائماً ، اذا أريد بقاء الماء فيها ، وإلا ذهب ماؤها وانتفت فائدتها ، فتترك وتهمل .

وتنظف الآبار بنزول الرجال فيها فيشد الرجل وسطه بالحبل ، ويترك طرفه في يد رجل ، أو مشدوداً بشيء ثابت قوي . ويقال لهذا الحبل (الجعار)[2] . وذكر ان (الجعار) حبل يشد به المستقي وسطه اذا نزل في البئر لئلا يقع فيها ، وطرفه في يد رجل ، فإن سقط مدّه به . وقيل هو حبل يشده الساقي الى وتد ثم يشده في حقوه[3] . وتعمل في جدر الآبار في العادة مواضع للأقـدام متقابلة يضع النازل في البئر رجليه عليها ، تمكنه من النزول لمنح البئر ، واستخراج ما قـد يتساقط فيها من أتربة ورمال ، أو لحفر قاعها لزيادة الماء فيها .

ويعبر عن انهيار البئر وسقوطها بألفاظ ، مثل : (صقعت) ، وانقاصت ، وانقاضت ، وانهارت ، وتنقضت ، وتجوخت ، وانقارت . والهدم ما تهدم من نواحي البئر في جوفها ، وانخسفت البئر ، تهدمت[4] .

وتنظف الآبار بالجُبْجبة ، تملأ بالأتربة وبالطين وبالأوساخ المتراكمة في قاع البئر وترفع ، وتصنع من جلود وأدم ، وهي نوع من الزبيل . ويستعمـل في التنظيف (الثوج) كذلك ، وهو زبيل ، يعمل من خوص ، يحمل فيـه التراب وغير ذلك . ويستعمل القفير كذلك ، وهو الزبيل بلغة أهل اليمن . ومن أسماء الزبيل أيضاً (الصن) وهو زبيل كبير ، والحفص زبيل صغير من أدم ، والعرق نوع من أنواع الزبيل . ويقال للخشبتين اللتين تدخلان في عروتي الزبيل اذا أخرج به التراب من البئر (المِسْمعان). وقيل المسمع العروة التي تكون في وسط المزادة[5].

---

١ المخصص (١٠/٣٩ وما بعدها) .
٢ المخصص (٩/١٧١) .
٣ قال أحدهم :
ليس الجعار مانعـي من القـدر ولـو تجعـرت بمحبـوك ممر
تاج العروس (٣/١٠٢) ، (جعر) .
٤ المخصص (١٠/٤٤) .
٥ المخصص (١٠/٤٥ وما بعدها) .

وتسحب الزبيل بحبال أعلى لاستخلاص ما فيها من تراب وطين ووسخ حتى تنظف.

ومن الالفاظ المعبرة عن تنقية البئر ونزولها وتنظيفها من الاوساخ والاتربة قولهم: نُشِلَتْ البئر ، أي أخرج ترابها ، واسم ذلك التراب النثيلة والنثالة والثلة والنبيثة. ويقال نبيثة النهر كذلك . وأما خمامة البئر ، فيراد بها ما كنس منهـا . ويقال جَهَرْتُ البئر ، بمعنى أخرجت ما فيها من الحمأة . وأما الشأو ، فما يخرج من ترابها ، وقد شأوت البئر نقيتها ، ويقال للذي يُخرج به المشآة ، ويقال أخرجت من البئر شأواً أو شأوين ، وهو ملء الزبيل من التراب . وجششت البئر أجشها جشاً ، أي كنستها . ونكشتُ البئر ،أخرجت ما فيها من الحمأة والجيثة والطين[1].

وقد يتغير طعم مياه الآبار وألوانها لعوامل عديدة . وهناك مصطلحات عديدة ذكرها علماء اللغة للدلالة على فساد ماء البئر ونتنـه . مثل : المسيط والضّغيط ، والحمأة الطين الاسود المنتن ، وقد يحمىء ماء البئر فيكدر وتخالطه الحمأة فتتغير رائحته . وتنزع حمأة الآبار وتنظف ليمكن الاستفادة منها[2] . والجيثة والجيأة : البئر المنتنة[3] .

وقد كان أهل المدن والقرى يشربون من العيون ومن موارد المياه الطبيعيـة الاخرى إن كانت في قراهم عندها أو على مقربة منها ، كما كانوا يحتفرون الآبار في بيوتهم أو في خارجها للاستفـادة من مياهها ، فإن كانت عذبة فرحوا بهـا وشربوا منها . وكانت قريش قبل جمع قصيّ إياها وقبل دخولها مكة تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ، ومن بئر حفرها (لؤي بن غالب) خارج الحرم تدعى (اليسيرة) ، ومن بئر حفرها (مرة بن كعب) تدعى (الروي)، وهي ما يلي (عوفة) ثم حفر (كلاب بن مرة) خم ورم ، و(الجفر) بظاهر مكة[4] ، وورد أن الذي حفر بئر (خم) هو (عبد شمس بن عبد مناف) ، حفرها بمكة[5] . وأن الذي حفر بئر (رم) هو (مرة بن كعب) أو (كلاب ابن مرة) حفرها بمكة[6] . وذكر أن (الجفر) بئر بمكة كانت لبني تميم بن

---

١ المخصص (١٠/٤٥) ، تاج العروس (٤/٣٥٩) ، (نكش) .
٢ تاج العروس (١/٥٨) ، (حمىء) .
٣ المخصص (١٠/٤٧) .
٤ البلاذري ، فتوح (٦٠) .
٥ تاج العروس (٨/٢٨٣) ، (خم) .
٦ تاج العروس (٨/٣١٨) ، (رمم) .

مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي[1] .

ثم إن (قصي بن كلاب) حفر بئراً سماها (العجول) واتخذ سقاية ، ثم إنه سقط في العجول بعد ممات (قصي) رجل فعطلت[2] . وورد أن الذي احتفرها (قصي) أو (عبد شمس)[3] . وحفر (هاشم بن عبد مناف) (بذر)،وهي البئر التي عند حطم الخندمة على فم شعب أبي طالب ، وهي لبني عبد الدار[4]. وحفر (هاشم) أيضاً (سجلة) ، وقد دخلت في المسجد[5] . وحفر (عبد شمس ابن عبد مناف) (الطوى) وهي بأعلى مكة ، و (الجفر) ، وحفر (ميمون ابن الحضرمي) (بئرة) ، وهي آخر بئر حفرت في الجاهلية بمكة . وعندها قبر (المنصور) . وورد أن (عبد شمس) حفر أيضاً بئرين وسماهما (خم) و (رم) ، على ما سمى (كلاب بن مرة) بئريه[6] . فأما (خم) فهي عند (الردم) . وأما (رم) ، فعند دار (خديجة بنت خويلد)[7] .

وحفرت بنو أسد بئر (شُفَيّة)[8] . وحفر (بنو عبد الدار) (أم أحراد)، وقد أشير اليها في الحديث[9] . وحفر (بنو جمح) (السنبلة) . وذكر ان الذي حفرها (بنو جمح) و (بنو عامر)[10] . وحفر (بنو سهم) (الغمر) ، وهي بئر (العاص بن وائل) . وحفرت (بنو عدي) (الحفير) . وحفرت (بنو مخزوم) (السقيا) ، و (بنو تيم) (الثريا) ، وهي بئر (عبدالله بن جدعان) . وحفرت (بنو عامر بن لؤي) (النقيع) ، وكانت لجبير بن مطعم بئر ، وهي بئر بني نوفل ، وكان عقيل بن أبي طالب ، حفر في الجاهلية بئراً،

---

١ تاج العروس (٣/١٠٥) ، (جفر) .
٢ البلاذري ، فتوح (٦٠) .
٣ تاج العروس (٨/٨) ، (عجل) .
٤ تاج العروس (٣/٣٦) ، (بذر) ، البلاذري ، فتوح (٦١) .
٥ البلاذري ، فتوح (٦١) .
٦ البلاذري ، فتوح (٦١) .
٧ وقال عبد شمس :
حفرت خمـــا وحفـرت دمـــا حتى أرى المجـد لنا قـد تمـــا
البلاذري ، فتوح (٦١) .
٨ البلاذري ، فتوح (٦١) ، تاج العروس (١٠/٢٠١) ، (شفى) .
٩ البلاذري ، فتوح (٦١) ، تاج العروس (٢/٣٣٥) ، (حرد) .
١٠ البلاذري ، فتوح (٦٢) ، تاج العروس (٧/٣٨٣) ، (سنبل) .

وهناك آبار أخرى غيرها ، ذكرها (البلاذري) في كتابه (فتوح البلدان)[1] .

وقد اشتهرت بعض الآبار وعرفت ، ، ولا تـزال معروفة نقـراً أسماءها في الكتب . ومن أشهرها (بئر زمزم) ، ذات الشهرة البعيدة ، بسبب مكانتها من الكعبـة ، وبئر (طوى) . وهي بئر حفرها عبد شمس بن مناف[2] . وبئر (ذروان) ، وهي لبني زريق ، جاء ذكرها في حديث سحر النبي[3] . و (بئر رومة) ، وهي ليهودي كان يبيع الماء منها للناس ، وقد حصل على مال كثير منها ، وكان اذا غاب ، قفل عليها بقفل ، فلا يستطيع أحد أخـذ الماء منها . فشكا المسلمون ذلك الى الرسول ، فقـال : « ومن يشتريهـا ويمنحها للمسلمين ويكون نصيبه كنصيب أحدهم ، فله الجنة » . فاشتراها (عثمان) بخمسة وثلاثين ألف درهم ، فوقفها[4] .

وبيثرب وأطرافها آبار عديدة ، كان يستقي منها أهلهـا للشرب ، منها بئر (غرس) . ويظهر انها كانت من أجود وأحسن آبار يثرب . وقد ورد ذكرها في الحديث ، حيث ورد : نعم البئر بئر غرس ، هي من عيون الجنـة . وغُسّل رسول الله منها[5] . وذكر انها كانت بقباء ، وانه برك فيها[6]. ويستقى منها على حمار[7] . ومنها بئر (مالك بن النضر بن ضمضم) ، وهي التي يقال لهـا بئر (أبـي أنس)[8] . ولمـا نزل الرسول منزل (أبـي أيوب) ، كان أبو أيوب يخدمه ويستعذب له هذه البئر[9] . ولما صار الرسول الى منزله ، كان خدمه يحملون قدور الماء الى بيوت نسائه من بئر السقيا ، ومن بئر غرس[10] .

وبئر (بضاعـة) بئر معروفة بالمدينة ، قطر رأسها ستة أذرع ، وهي في بستان ، وكان أهل يثرب يطرحون فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والمنتن[11] .

---

١ (من ص ٢٦ فما بعدها) .
٢ تاج العروس (١٠/٢٢٩) ، (طوى) .
٣ تاج العروس (١٠/١٢٦) ، (ذرو) .
٤ المعارف (ص ٨٣) .
٥ تاج العروس (٤/٢٠١) ، (غرس) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
٩ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٤) .
١٠ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٤) .
١١ تاج العروس (٥/٢٧٨) ، (بضع) .

وكان أهل العربية الغربية يحفرون حفراً ، يجعلونها كالبئر ، يلقون بها الجيف وما شاكلها . وذكر أن (الجباجب) ، حفر بمنى كان يلقى بها الكروش ، كروش الأضاحي في أيام الحج ، أو كان يجمع فيها دم البدن والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها[1] . وقد ورد أن الرسول كان يشرب من بئر (بضاعة) وأنه بصق فيها وبرك[2] . وأن خيل رسول الله كانت تسقى منها ، وأن أهل المدينة كانوا يغسلون مرضاهم بمائهـا ، لاعتقادهم أنه يشفي من المرض[3] . ولعل قصة رمي الجيف والمنتن بها من القصص الموضوع المصنوع ، أو أن ذلك حدث فيما بعد ، حين أهمل شأنها، فلم يعد الناس يستقون منها ، فاتخذت موضعاً يرمى فيه الجيف .

ومن بقية الآبار (البُقْع) وقيـل هي السقيا التي بنقب بني دينار ، وبئر (جنب) ، وبئر (جاسم)، بئر أبـي الهيثم بن التيهان براتج[4] ، وبئر (العبيرة)، بئر (بني أمية بن زيد) ، وقد شرب منها الرسول وسماها (اليسيرة)[5] . وبئر (رومة) بالعقيق ، وكانت لرجل من مزينة يسقى عليها بأجر ، فقـال رسول الله : نعْمَ صدقة المسلم هذه من رجل يبتاعها من المزني فيتصدق بها[6] . وكان المزني ، قد ضرب خيمة الى جنب البئر ، يأخذ أجور الدلاء ، وله جرار بهـا ماء بارد ، مرّ الرسول به مرة فشرب منها ماءً بارداً ، فقال : هـذا العذب الزلال[7] .

ويرد في كتب السير مصطلح (بئر السقيا) و (بيوت السقيا) ، و (السقيا) ورد أن الرسول كان يشرب من بيوت السقيا[8] ، وورد أن خدمه كانوا يحملون قدور الماء الى نسائه من (بئر السقيا) ، وأنه شرب حين خرج الى (بـدر) من (بئر السقيا)[9] . وقد ذكر بعض العلماء ، أن (بيوت السقيا) موضع في

---

١ تاج العروس (١/١٧٤) ، (جبب) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٥) .
٤ تاج العروس (٥/٢٨٠) ، (بقع) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣ وما بعدها) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٦) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٦) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
٩ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٤ ، ٥٠٦) .

بلاد (عذرة) ، يقال له (سقيا الجزل) ، قريب من وادي القرى[1] . وهناك بئر قيل لها (السقيا) بنقب بني ديار ، ورد ذكرها في الحديث[2] . وهناك مواضع أخرى عرفت بـ (السقيا) ، و (سقيا) ، منها سُقيا غفار ، و (السقيا الجزل) ، (سقيا يزيد) ، والسقيا للعنبر[3] .

وقد ذكر ان الرسول قد شرب من الآبار المذكورة ، وبصق فيها وبرك[4] ، ليبارك في مائها .

ولأبي عبيدة ، معمر بن المثنى كتاب في الآبار ، جمع فيه ما ورد ذكره من الآبار[5] .

وقد اتخذ النبط وغيرهم من القبائل آباراً لشربهم ولشرب مواشيهم، لها فتحات تسدّ بالحجارة ، فلا يمكن لأحد غريب الوقوف عليها ، فإذا داهمهم عدو ، أو أرادوا النقلة الى أماكن أخرى ، سدوا بها فتحاتها ، ووضعوا فوقها من التراب ما يخفي معالمها . وقد أشار اليها الكتبة اليونان واللاتين .

ولا تزال بعض الآبار القديمة مستعملة ينتفع بمائها وهناك آبار طمرت ، أو جفت مياهها ، وقد عثر عند أفواهها على كتابات تشير اليها والى أسماء أصحابها. وهناك آبار أخرى عديدة عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب، وبعضها عميقة جداً ، وهي كلها (عادية) من أيام الجاهلية . والبئر العادية البئر القديمة التي لا يعرف لها مالك .

وقد استغلت بعض الآبار الجاهلية المندثرة ، بتنظيفها وتطهيرها واستغلالها . ذكر (فؤاد حمزة) ان آباراً عديدة جاهلية نظفت وأصلحت ، فعادت اليها الحياة، واستغلت مياهها في إحياء الأرضين التي كانت خصبة مثمرة ثم تحولت الى موات[6]. ولا يزال الناس يستغلون في اليمن وفي غير اليمن بعض الآبار القديمة للشرب ، وذلك لصعوبة استخراج مياهها للزراعة لعمقها ، واقتصار الناس هناك في استخراج

---

١ تاج العروس (١٠/١٨٠) ، (سقى) .
٢ تاج العروس (٥/٢٨٠) ، (بقع) .
٣ بلاد العرب (٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٩٦) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣ وما بعدها) .
٥ « كتاب الآبار » تاج العروس (٣/٣٦) ، (بذر) .
٦ فؤاد حمزة (ص ١٩٠) .

الماء على الدلاء[1] . ويظهر من وجود بعض الآبار (العادية) في البراري ان تلك المواضع كانت في محلات مأهولة ، ثم تركها أهلها فعميت،وبقيت آثارها تتحدث عن وجود سكن قديم في هذه المواضع . وفي اليمامة آبار عديدة عادية ، لا تزال على وضعها ، وهي من آبار ما قبل الاسلام . وأشار العلماء الى مياه عادية ، فقد ذكروا ان (لبينة) ماءة عادية ، أي من المياه القديمة التي يعود عهدها الى الجاهلية[2] .

وقد عثر المنقبون على نصوص جاهلية مدوّنة بالمسند ، تتعلق بتملك الآبار وبحفرها وبإصلاحها . وقد أرخ بعض منها بأيام ملك ، أو برجل عظيم كان معروفاً مشهوراً في زمانه،أو بحادث وقع لهم ذي بال . وقد أمدتنا هذه النصوص ببعض المعلومات عن الآبار وعن أصحابها وأسماء المواضع التي حفرت بها .

ويكون نضوب الماء من البئر ، أو تحول مائها العذب الى ماء ملح ، نكبة بالنسبة لأهل البئر ، ففي تبدل طعم الماء هذا خسارة كبيرة لأهل الماء ، وعليهم البحث عن مورد آخر لسدّ رمقهم ، واطفاء ظمأ أموالهم ، وحفر بئر أخرى في مكان آخر . ونقرأ في كتب أهل الأخبار واللغة أمثلة كثيرة عن هذا التبدل الذي حدث في طعم الماء ، وسببه ، هو انحباس المطر ، وتحول مجاري المياه العذبة الجوفية من مكان الى مكان ، مما يسبب نضوب ماء الآبار والعيون التي كانت على المجاري القديمة ، أو تقليل كمياته ، فتظهر عندئذ ملوحة التربة ، وقد تتغلب على طعم الماء العذب ، فتحوله الى ماء ملح[3] .

وقد هجرت مستوطنات عديدة بسبب وقوع هذه الظواهر المحزنة في موارد مياهها كانت تستمد مياهها من حوض ماء جوفي ، فلما قلت المياه فيها ، أو تحولت الى موضع آخر ، لعوامل (جيولوجية) ، تأثرت المنطقة التي فيها الماء، بهذا التحول ، واضطر سكانها إلى تركها ، نتيجة انقطاع موارد المياه عنها ، أو تبدل طعمها ، تبدلاً لا يطاق .

---

١ نزيه مؤيد العظم ، رحلة في بلاد العرب السعيدة (ص ٤٥) .

٢ بلاد العرب (٢١١) .

٣ تاج العروس (٢/٢٢٨ وما بعدها) ، (ملح) .

العيون :

ويقال لينبوع الماء (العين) . وعيون الماء معروفة مشهورة في مواضع كثيرة من جزيرة العرب ، وهي مواضع الخصب والنماء والزرع . ويستفاد منها في سقي المزارع وإرواء الأشجـار المغروزة في هذه الأماكن ، على أن كثرة مياه بعض العيون قد صار سبباً في انتشار الأوبئة مثل (الملاريا) كما في واحة خيبر ذات العيون العديدة . ويقال لمجاري الماء من العيون القصّب ، وقيل قصبة كل مخرج ماء . ويقال للعين التي لا ينقطع ماؤها عين حشد . أما إذا كانت العـين كثيرة الماء فيقال لها عين غزيرة ، وعين زغربة ، وعين غدقة ، وعين ثرة ، وكذلك ثرثارة[1] . وقد ذكر العلماء أسماء عيون عديدة كانت ذات مياه عذبة ، هي رحمة للناس تنقذ حياتهم وحياة ماشيتهم من العطش والحرّ الشديد ، وقد أقيمت حولها قرى ، مثل (ينبع) ، قرية وحصن ، ذكر أنها كانت ذات عيون كثيرة ، زرعت عليها نخيل وزروع[2] .

وبعض العيون عيون معدنية ، بعضها بارد ، وبعضها حار يستشفى فيه. ويقال للعين الحارة : الحمّة[3] . وذكر علماء اللغة ان الحمة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بالغسل منه . وقد أشير اليها في الحديث[4] . وكان أهل الجاهلية يستشفون بالاغتسال في العيون الحارة ، وخاصة عند اصابتهم بأمراض الجلد .

والعيون : هي مما استنبطته الطبيعة في الغالب ، فلا يد للانسان في وجودها ، وهي تكون عامة لأهل المنطقة التي تقع فيها ، يشربون منها سواء ، وقد تكون مما استنبطه الآدميون ، فتكون ملكاً لمستنبطها ولورثته من بعده ، لهم تملكها ولهم حق بيعها ، تسقي ملكهم لا ينازعهم عليها منازع ، واذا سال ماء العين فيعبر عن ذلك بلفظة (ثج) ، أي سال[5] .

ونقرأ في كتب الأخبار واللغة لفظة (الغمر) علماً لمواضع فيها مياه غزيرة ، قد تكون آباراً وقد تكون عيوناً . ومنها (الغمـر) ، بئر قديمة بمكة حفرها

---

١ المخصص (١٠/٣٣) .
٢ تاج العروس (٥/٥١٧) ، (نبع) .
٣ المخصص (١٠/٣٣) .
٤ تاج العروس (٨/٢٦٠) ، (حمم) .
٥ تاج العروس (٢/١٣) ، (ثجّ) .

بنو سهم ، و (غمر ذي كندة) بينه وبين مكة يومان ، و (الغمر) باليمامة، موضع ماء[1] . وأما لفظة (الركايا) ، فتعني الآبار[2] .

الكراف :

وترد لفظة (كرفن) ، أي (الكرف) و (الكريف) ، في النصوص المتعلقة بالإرواء والإسقاء والزراعة . وقد فسرها بعض العلماء بـ (صهريج) . وفسر (الهمداني) لفظة (كريف) بقوله : « كريف جوبة عظيمة في صفا يكون فيها الماء السنة وأكثر »[3] . والكرف صهاريج ، نقرت في الصخر ، ومنها كريف (درداع) ، وهو كريف (وحاظة) واسمها (سباع) ، ذكر ان مساحته (٦٠٠) ذراع في مثلها ، وكريف (الوفيت) ، منقور في الصخر الأسود، عمقه في الأرض خمسون ذراعاً ، وعرضه عشرون ، وطوله خمسون . محجوز على جوانبه جدار يمنع السقوط فيه[4] .

ويقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء كثير ،أو للماء الجاري الدائم الذي له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر (العِدّ) . وقد وردت اللفظة في كتب الحديث . وقد نهى الرسول عن اقطاع (الأعداد)[5] . وقد ذكر علماء اللغة ان من معاني العِدّ : الماء القديم الذي لا ينتزح ، وانه الماء الكثير بلغة تميم، والماء القليل بلغة بكر بن وائل ، والركيّ في لهجة بني كلاب . ومن الماء العدّ : كاظمة ، جاهلي اسلامي ، لم ينزح قط . وفي الحديث نزلوا أعداد مياه الحديبية ، أي ذوات المادة كالعيون والآبار[6] .

القنى :

والقناة كظيمة تحفر في الأرض تجري بها المياه ، وهي الآبار التي تحفر في

---

١ تاج العروس (٣/٤٥٣ وما بعدها) ، (غمر) .
٢ تاج العروس (١٠/١٥٥) ، (ركا) .
٣ الهمداني (ص ٨٠) ، Rhodokanakis, II, S. 95, Hartmann, Arab. Frage, S. 400.
٤ زيدان ، العرب قبل الاسلام (١٦٨) .
٥ جامع الاصول (١١/٢٢٨) .
٦ تاج العروس (٢/٤١٦) ، (عدّ) .

الأرض متتابعة ليستخرج ماؤها ويسيح على وجه الأرض[1] . ويكثر وجودهـا في العربية الجنوبيـة ، ولا تزال آثارها باقية ، وقد استفيد من بعضها في الشرب والسقي . والقنا والفقر ، واحد[2] ، و (الفقرة) الحفرة في الأوض[3] .

التلاع :

وقد تنحدر المياه من عيون في الاسناد والنجاف والجبال حتى تنصب في الأودية وفي الأماكن المنحدرة ، مكونة تلاعاً . و (التلعة) مسيل الماء من أعلى الوادي الى أسفله . والتلاع مجاري أعلى الأرض الى بطون الأودية . وتلعة الجبل أن الماء يجيء فيخدّ فيه ويحفره حتى يخلص منه . وربما جاءت التلعة من أبعد من خمسة فراسخ الى الوادي ، فإذا جرت من الجبال فوقعت في الصحارى حفرت فيهـا كهيأة الخندق ، وإذا عظمت التلعة حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيـه ، فهي ميثاء . وقد تجري التلاع عند سقوط المطر وتكوين السيول ، فيجري الماء بسرعة جارفة ، تجرف ما قد يقف أمامها من مانع . ولذلك كانوا يخافون نزول التلعة ، خشية خطر مجيء السيل فيجرف من قد يكون فيها . وللعرب أمثلـة في التلاع ، منها : (لا يمنع ذنب تلعة) ، يضرب للذليل الحقير ، و (لا أثق بسيل تلعتك) ، يقال لمن لا يوثق به ، (ما أخاف إلا من سيل تلعتي) ، أي من بني عمي وأقاربي ، لأن من نزل التلعة ، وهي مسيل الماء ، فهو على خطر ان جاء السيل جرف به[4] . مما يدل على غرق أناس في هذه التلاع .

ويقال لمسيل ما بين التلعتين (المذنب) ، وذنب التلعة . والمذنب مسيل في الحضيض ليس بخدّ واسع . وأذناب الأودية ومذانبها أسافلها . وقال بعض علماء اللغة : المذنب : مسيل ما في الحضيض والتلعة في السند ، والجدول يسيـل عن الروضة بمائهـا الى غيرها ، فيتفرق ماؤها فيها ، والتي يسيل عليها الماء مذنب أيضاً . قال امرؤ القيس :

---

١ تاج العروس (١٠/٣٠٤) ، (قنو) .
٢ عرام ، أسماء جبال مكة وتهامة (ص ٤١٣) .
٣ تاج العروس (٣/٤٧٥) ، (فقر) .
٤ تاج العروس (٥/٣٩١) ، (تلع) ، (١/٦٤٨) ، (ميث) .

وقد اغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب[1]

واذا انحدر المطر الى موضع واطىء ، قيل إنشل ، وانشل السيل وانسل ابتدأ في الاندفاع قبل أن يشتد[2] .

و (الوشل) : ماء يخرج من شاهقة ، فيسقط الى منحدر[3] . وتوجد الأوشال في الجبال ، وفي الشواهق . وذكر علماء اللغة ان الوشل المساء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، يقطر منه قليلاً قليلاً ، أو الماء الكثير ، فهو من الأضداد . وفي تهامة جبل يقال له الوشل فيه مياه كثيرة . وقد يقال للقطرات التي تنزل من سقف كهف أو لحف جبل فتجتمع في أسفله الوشل[4] .

التحكم في الماء :

وللسيطرة على المياه ، ولا سيما مياه الأمطار ، عمد أهل الجاهلية الى اتخاذ مختلف الوسائل في التحكم فيها . بعضها بدائية وبعضها راقية تدلّ على براعة وعلم وفن . منها اتخاذ السدود للهيمنة على الماء ، وخزنه للاستفادة منه عند الحاجة ، وتوجيهه الجهة التي يريدونها . وقد أظهر العرب الجنوبيون مقدرة كبيرة في الاستفادة من الأمطار ومن مياه الينابيع والأنهار لاستعمالها في الإرواء والشرب والسقي . وتحكم مهندس الإرواء عندهم في الماء وسيطر عليه ، لكيلا يذهب هباء ، فاستخدم لضبطه الأبواب والفتحات والحواجز والرحاب ، ونوّع في المجاري وفي مسايل المياه ، ليستفيد من الماء قدر إمكانه فلا يفلت منه شيء .

ولم يكن من السهل على حكومات ذلك الزمن السيطرة على مياه السيول والاستفادة منها ، فكانت تذهب سدى ، بعد أن كانت تصيب الأرض والنساس بالأضرار وحين تنحدر هذه السيول من النجاد والجبال والأمكنة المرتفعة ، تتحول الأودية فجأة وبسرعة أنهاراً عريضة كبيرة ، تسيل مياهها مندفعة هدارة ، لكنها لا تلبث

---

١ تاج العروس (١/٢٥٥) ، (ذنب) .
٢ تاج العروس (٧/٣٩٥) ، (شلل) .
٣ عرام ، أسماء جبال تهامة وسكانها (ص ٣٩٧) ، (نوادر المخطوطات) .
٤ تاج العروس (٨/١٥٤) ، (وشل) .

طويلاً، بل تزول وتذهب وتجف الأودية ولا يبقى فيها من الماء شيء ، إذ يسيل الى البحر أو يغور في التربة . وقد اجتهد الجاهليون أن يستفيدوا من هذه السيول فأقاموا السدود على قدر إمكانهم كما فعلوا في سدّ مأرب وفي سدود أخرى كما يظهر من الآثار ، ولكن قدرتهم الفنية والمالية لم تكن من الاتساع والقوة بحيث تساعدهم على السيطرة على السيول .

وقد عثر على آثار سدود في مختلف أنحاء جزيرة العرب . وقد أنشئت في المواضع التي يزورها الغيث وتنهمل عليها الأمطار . وقد تقام لضبط مياه النهيرات والينابيع ، لجمعها ، ثم إعادة توزيعها . وبعض هذه السدود المندثرة هو اليوم في مناطق صحراوية لا ماء فيها ولا بشر ، مما يشير الى أنها كانت مأهولة ، ثم عفى على أهلها الدهر ، فأهملت وتهدمت .

وبعض هذه السدود ، سدود بسيطة ، صنعت من تراب أو من تراب وحجارة لمنع ماء المطر من الذهاب عبثاً ، فيسدّ طريقه ويحبس في منخفض أو حوض ليستفاد منه . وقد أمر الرسول بسدّ ماء السماء في موضع ليستفاد من الماء ، فعرف بـ (سد) . ويطل جبل (شوران) على السد[1] . وأمر (معاوية) بسد الوادي الذي يمر بحرة المدينة ، فحبس سيله بسد ، عرف بسد معاوية فهو يحتبس فيه الماء ، يرده الناس بمواشيهم يسقونها[2] . ويمر على طرف (قدوم) ويصب في (أحد)[3] . و (قدوم) جبل على ستة أميال من المدينة[4] .

وتتخذ (المُسُك) لمسك الماء وحبسه ، تمنعه من الذهاب عبثاً . كأن تمنعه من ان ينصب في البحر[5] .

ويقال للسد (عرمن) في العربيات الجنوبية ، أي (العرم) . فلفظة (العرم) تعني السد عند اليمانين القدماء ، ولم تكن علماً على سد معين . أعني سد مأرب . وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم سيل العرم »[6] .

---

١ عرام ، أسماء جبال تهامة (ص ٤٢٥) .
٢ بلاد العرب (٤٠١) .
٣ البلاذري ، فتوح (٢٦) .
٤ تاج العروس (٢٠/٩) ، (قدم) .
٥ تاج العروس (١٧٧/٧ وما بعدها) ، (مسك) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٧) .
٦ سورة سبأ ، الآية ١٦ .

وفي هذه الآية اشارة الى حادث انفجار سد مأرب كما يذهب الى ذلك المفسرون.

وتولت الحكومات في اليمن إنشاء السدود وحفر القنوات والسواقي ، وأنفقت على الأعمال من أموالها ، وقدّمت المواد الغذائية وبعض الأجور الى العمال . وكانت تطلب الى سادات القبائل والقرى تقديم الرجال للعمل وتقوم هي بإعاشتهم طوال أيام عملهم ، كالذي ورد في نص (أبرهة) عامل الحبشة على اليمن ، فقد كان يقدم الطعام الى العمال لقاء اشتغالهم ببناء السدّ . وقد ذكر مقدار ما قدّمه وما صرفه عليهم من طحين وبرّ وتمر ولحم وقد يشغل العمال سخرة ، فلا تدفع الحكومة أو سيد القبيلة أو الموضع اليهم شيئاً . وقد كانت السخرة شائعة في ذلك العهد ، لا في اليمن حسب ، بل في العالم القديم كلـه ، فيسخر العمال بتكسير الحجارة واقتلاعها من المحاجر ونقلها الى الأماكن التي يراد إقامة السدود أو منشآت البناء فيها أو غير ذلك ، ثم بإصلاحها وببقية أعمال البناء اللازمة ، الى أن تنجز ، وعندئذ يسمح لهم بالانصراف الى حيث يشاؤون .

وفي الحالات الاضطرارية يحشر الناس حشراً ، كما في الفيضانات المفاجئة التي تنشأ عن السيول . فتحشر الحكومة ورؤساء المدن والعشائر كل من يجدونه أمامهم للعمل على إنشاء الحواجز والسدود وفتح المجاري لمرور المياه لانقاذ الأرواح والأموال من الكوارث والأضرار .

وقد تتولى المعابد هذه الأعمال ، فتصرف عليها من واردها ، تعدّ ذلك هبة أو ديناً تتقاضاه من أصحاب الأرض ومن المستأجرين في المدن والقرى ، كما يتولاها أيضاً رؤساء القبائل ، بأن يكلفوا القبيلة القيام بذلك العمل ، مقابل تعهدهم بتقديم الطعام للمشتغلين به ، وقد يكلفونهم ذلك سخرة مستخدمين حق القوة التي يتمتعون بها إن كانوا رؤساء أقوياء .

وفي كتب أهل اللغة والأخبار تعابير عديدة عن سيـل السيول ، وأثرها في الأرض وجرفها التربة وما عليها ، وتفتيتها أشفار الأودية والأماكن التي تنحدر منها وكيفية قلعها الأشجار والصخور[1] . يظهر منهـا كلها ان أثر السيول كان شديداً مؤذياً ، وهو ما زال على أذاه الى هذا اليوم .

---

١ المخصص (١٢٦/٩ وما بعدها) .

المسايل :

وللسيطرة على المياه ، ولا سيما مياه الأمطار ،عمد العرب الجنوبيون الى الوسائل الصناعية الفنية في التحكم فيها ، فأنشأوا المجاري الصناعية لتجري فيها المياه وتسيل فلا تذهب عبثاً ولا تجري في القنوات إلا بقدر . ومن هذه المجاري ما يقال له (ماخذ) و (ماخذت) في لغة المسند . أي (مأخذ) و (مأخذة) . ويراد بالمأخذ المجرى المحفور المعمق لمرور المياه الى الحقول والبساتين أو المعابد[1] .

ويقال للقناة أي الممر الذي تمرّ منه المياه (عبرن) في اللهجات العربية الجنوبية، أي المعبر . ذلك لأن المياه تعبرها وتجري فيها وتسيل منها الى الأماكن التي كان يقصد وصولها اليها[2]. وترد بكثرة في النصوص المتعلقة بتنظيم الإرواء وفي النصوص المتعلقة بشؤون الزراعة . وأما لفظة (امررن) فتعني (المرور) ، والامرار و (الممرات) ، وقد وردت في النصوص الزراعية بمعنى الممرات المائية التي تجري فيها المياه ، فهي بمعنى سواقٍ لإسقاء الأرض[3] . وأما الممر الواحد أو الوادي ، فيقال له (سرن)[4] .

وترد كثيراً في النصوص المتعلقة بشؤون الإرواء لفظة (حرت) . ووروودها فيها يدل على وجود علاقة لها بالإسقاء والإرواء. ويظهر أن لهذه اللفظة صلة بلفظة (خر) العربية التي تعني ما خدّه السيل من الأرض ، والشق ، فيقال خر الماء الأرض خراً اذا شقها ، والهوى من علو الى أسفل ، واذا تدهدى الشيء من علو[5] . وهي بهذا المعنى وبمعنى ثقب وفتحة في لغة بني إرم وفي العبرانية المتأخرة، وتؤدي لفظة (خرو) Harru معنى قناة في الأشورية . وهذا يدل على ان للفظة (حرت) معنى قناة أو فتحة تفتح في السد ، أو في مجرى ماء ، لإسالة الماء من الفتحة الى القناة أو المجرى المخصص بجري الماء[6] .

وقد عثر السيّاح الذين زاروا اليمن ودرسوا آثار السدود على (حرّات)

---

١ RW 59, Bu. San'a 1909, Jemen, II, 341, Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 17.

٢ REP. EPIGR. 4351, VII, II, p. 210.

٣ REP. EPIGR. 4351, VII, II, p. 209.

٤ REP. EPIGR. 4351.

٥ تاج العروس (٣/١٧٢) ، (خرّ) .

٦ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 81, 85, 115.

كثيرة تتخلل جـانبي السدّ . وهي عبارة عن فتحات مستديرة ، تختلف أقطار فتحاتها بحسب كميات المياه المراد إمرارها منها الى (القنوات) . وهذه الفتحات هي الحرات (حررتن) . والفتحة الواحدة هي (حرت) (حرة)[1] .

ويعبر عن احداث فتحة أو ثغرة في جدار أو جبل أو في صخرة لإسالة الماء منها أو فتح شيء ما ، بلفظة (بلق) . وتؤدي لفظة (مخض) معنى (بلق) أيضاً ، فهي أيضاً بمعنى احداث ثغرة أو فتحة ، غير أنهـا تستعمل للتعبير عن معانٍ أخرى مثل فتح الطرق وشقها في الجبال في الغالب ، أو احداث طريق فوق (منقلن) . ويراد بالمنقل معنى (نقيل) أي ممر .

ولما كانت العربية الجنوبية ذات جبال ومرتفعات ، تصطدم بها الرياح المتشبعة بالأبخرة ، فتتساقط مطراً ، عمل المهندسون على الاستفادة من هذه الأمطار بالتحكم فيها وبتوجيهها الجهة التي يريدونها ، وذلك بإحداث فتحات في الصخور وعمـل قنوات وأنفاق لإكراه الماء على المرور منها الى المواضع التي يريدون خزنها فيهـا للاستفادة منهـا عند الحاجة ، ولتكوين مسايل كبيرة تتجمع فيها المياه فتجري كالأنهار .

وتؤدي لفظة (قلح) معنى سال وجرى وصب ، ولها معان أخرى ذات صلة بالحركة . وبهـذا المعنى ترد لفظة (سفح) كذلك[2] . ولسفح في عربيتنا معنى قريب من معناها في المسند ، فمن معاني السفح ، عرض الجبل حيث يسفح فيه الماء ، وسفح بمعنى سال وأراق وصب[3] . وهي معان لها صلة بجريان الماء .

وأما لفظة (منفخت) (منفخة) و (منفخ) ، من أصل (نفـخ) ، فإنها تعني فتح الماء واسالته ، وذلك بفتـح الفتحات الماسكة له ليسيل منها الى المجاري المخصصة بمسيله . وهي في معنى لفظـة (منفس) التي هي من أصل (نفس) . ويراد بها خروج المـاء وجريانه من الفتحات الحابسة له وارتفاعه نتيجة لفتح الماء . وهي من ألفاظ الإرواء الواردة في الكتابات العربية الجنوبية[4] . ويستعمل العراقيون جملة (تنفس الشط) ، بمعنى ارتفع ماء النهر وزاد ، وذلك

---

١ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 118.
٢ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 62.
٣ تاج العروس (٢/١٦٤) ، (سفح) .
٤ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 82.

في ايام الفيضان . و (تنفس الموج) و (تنفس دجلة) . فالمنفخ والمنفس اذن في معنى واحد ، ويطلقان على عملية رفع مستوى الماء بزيادة كمياته من الفتحات التي تضبطه وتسيطر عليه ، لأجل رفع مستواه في الأنهار أو في المجاري والسواقي لإرواء الأرضين في يسر وسهولة ، ولا سيما الأرضين المرتفعة بعض الارتفاع .

ويقال لمجرى الماء الصغير المتفرع من مجرى أوسع منه (مسبا) . وذهب بعض الباحثين الى أن المراد بهذه اللفظة الصهريج . وقد عرف علماء اللغة (المسبا) بأنه الطريق في الجبل[1] .

أما السواقي ومجاري الماء الصغيرة التي تستعمل في اسقاء المزارع والحدائق ، فيقال لها (مسقيت) ، أي (مسقية) و (ساقية)[2] . وذهب (رودوكناكس) الى أن لفظة (مسفحة) (المسفحة) ، تعني الساقية أيضاً[3] .

ويعبر عن خروج الماء وسيلانه ونزوله بلفظة (فجر)[4] . و (الفجر) في عربيتنا تفجير الماء ، يقال انفجر الماء وتفجر : سال وانبعث . والمفجر والمفجرة منفجر الماء من الحوض وغيره . وفجرة الوادي ، متسعه الذي ينفجر اليه الماء[5] . و (الشرج) مسيل ماء من الحرة الى الوادي ، ومنفسح الوادي[6] ، فلها علاقة بمسير الماء وسيلانه . وبهذا المعنى وردت لفظة (سفح) في المسند[7] .

المصانع :

وللاستفادة من ماء المطر استعملوا المصانع ، جمع مصنعة . مساكات لماء السماء ، يحتفرها الناس فيملؤونها ماء السماء يشربونها . والمصنعة كالحوض أو شبه

---

١ « والمسبأ كمقعد الطريق في الجبل » ، تاج العروس (١/٧٦) ، (سبأ) ، Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 112, Hommel, Aufs. und Abbädlungen, S. 126.

٢ Glaser 1150, Halevy 193, 199.

٣ Müller, WZKK, II, S. 189, Rhodokanakis, Stud. Lexi, II, S. 89.

٤ Halevy 149, Rhodokanakis, Stud. Lexi., I, S. 59.

٥ تاج العروس (٣/٤٦٤) ، (فجر) .

٦ تاج العروس (٢/٦٣) ، (شرج) .

٧ Rhodokanakis, Stud. Lexi., I, S. 59, Alt. Sab. Inschr., S. 77.

الصهريج ، وذكر ان الحبس مثل المصنعة[1] . وذكر ان المصانع مساكات لماء المطر يحتفرها الناس ، وأن العرب تسمي القرى مصانع ، تقول هو من أهل المصانع ، أي القرى والحضر ، والمصانع أيضاً المباني من القصور والآبار وغيرها والحصون . والصنع ، مصنعة الماء ، وهي خشبة يحبس بها الماء وتمسكه حيناً ، وسمت العرب أحباس الماء الأصناع ، وبهذا المعنى :الصناع والصناعة[2]. و(الرصف) السد المبني للماء[3] . ويكون من حجارة مرصوف بعضها الى بعض في مسيل فيجتمع فيها المطر[4] .

السكر :

ويعبر في لهجة أهل الحجاز بلفظة (سِكْر) و (سكر الأنهار) عن سدّ الماء وحبسه ، وذلك لضبط الماء ، فلا يتسرب الى المزرعة أو الى مكان فيغرقه، أو لحبس الماء للاستفادة منه في الإسقاء[5] . وقد يكون السكر ثابتاً دائماً ، مبنياً له فتحات تغلق وتفتح وقت الحاجة اليه ، وقد تكون مؤقتة تزال وتسدّ بحسب الحاجة ، وتكون هذه في السواقي والنهيرات . وتؤدي لفظة (حبس الماء) معنى سدّه ومنعه من السيلان والجري ، وذلك بواسطة السكر والحاجز المقام . وتؤدي لفظة (السكر) ، أيضاً معنى سدّ النهر و (العرم) أي السدّ، والمسناة[6] .

الأحباس :

و (الحبس) خشبة أو حجارة تبنى في مجرى الماء لتحبسه ، كي يشرب القوم ويسقوا أموالهم . والجمع أحباس . وقيل ما سدّ به مجرى الوادي في أي

---

١ تاج العروس (٥/٤٢٢) . (صنع) ، المخصص (١٠/٥٢ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٥/٤٢٢) ، (صنع) .
٣ المخصص (٩/١٥٣) .
٤ تاج العروس (٦/١١٧) ، (رصف) .
٥ عمدة القارىء (١١/٢٠٠ وما بعدها) ، (باب سكر الانهار) ، تاج العروس (٣/٢٧٤) ، (سكر) .
٦ تاج العروس (٣/٢٧٤) ، (سكر) .

موضع حبس . وقيل الحبس كالمصنعة تجعل للماء[1] . و (العرمة) سدّ يعترض به الوادي ليحتبس به الماء ، والأحباس تبنى في أوساط الأودية[2] . و (الرجيع) محبس الماء ، و (الخرنق) مصنعة الماء ، والسرج والقرى والحافشة . وهذه مسايل الماء[3] . و (الخربق) مصنعة الماء واسم حوض[4] . و(الردم) السدّ[5] . و (الحواجر) و (الحاجر) ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به[6]. ومن الأحباس : حبس ضعاضع . جبيل عنده حبس كبير يجتمع عنده الماء . وهو حجارة مجتمعة وضعت بعضها على بعض[7] .

وتكون على السواقي ومسايل الماء والسدود ، مسايل جانبية ، تفتح عند الحاجة لمرور الماء منها الى المزارع ، تخرج من المسيل الأعظم يمنة ويسرة ، يقال لها : (النواشط) . وطريق ناشط ، اذا كان ينشط من الطريق الأعظم يمنة ويسرة[8] .

وقد كان نضوب الماء من الآبار والغدران ومواضع الماء الأخرى من المشكلات التي جابهت الجاهليين . ومن المشكلات التي ما برح سكان جزيرة العرب يواجهونها اليوم أن بعض الآبار يغور ماؤها ، فيضطر الناس الى ترك أماكنهم ، أو قد يتبدل طعم الماء ، فلا يكون مستساغاً للشرب ولا مجدياً في الزراعة . وحفر الآبار في مواضع متقاربة يؤدي الى انخفاض مستوى الماء أو نضوبه في كثير من الأحيان. وقد أدى إهمال الناس للآبار الى تراكم الأتربة فيها ، وانهيار جدرانها ، ونضوب الماء منها ، وارتحال الناس عنها .

السدود :

السد في اللغة الحاجز ، والوادي فيه حجارة وصخور يبقى الماء فيه زماناً .

---

١ تاج العروس (٤/١٢٤) ، (حبس) ، اللسان (٦/٤٥) ، (حبس) .
٢ تاج العروس (٨/٣٩٥) ، (عرم) .
٣ تاج العروس (٦/٣٣١) ، (خرنق) .
٤ تاج العروس (٦/٣٢٧) ، (خربق) .
٥ تاج العروس (٨/٣٠٩) ، (ردم) .
٦ تاج العروس (٣/١٢٥) ، (حجر) .
٧ قال الشاعر :
وان التفاتي نحو حبس ضعاضع واقبال عيني في الظبا لطويل
عرام ، أسماء جبال تهامة (٤١٠) .
٨ تاج العروس (٥/٢٣٢) ، (نشط) .

وقد كان الجاهليون يقيمون حواجز عند مخارج السيول ، لحبس الماء في المنخفضات لتكوين أحواض لحفظ الماء فيها ، للاستفادة من مائها عند انقطاع السيول وظهور الجفاف . ولما كان بناء سد ضخم بحجارة وبجدر مرتفعة طويلة ، عمل يحتاج الى مهارة وخبرة والى مال ، والى وجود حكومة كبيرة متمكنة من الناحية المادية ، وهي شروط لم تكن متوفرة في معظم أنحـاء جزيرة العرب ، ما خلا اليمن ، صارت السدود في معظم أنحـاء جزيرة العرب سدوداً صغيرة بدائيـة في أغلب الأحيان ، هي مجرد حواجز من تراب أو من صخور كدّست بعضها فوق بعض لحبس الماء في المنخفض ومنعه من الجريان . وقد شاهد السياح آثار سدود جاهلية في أنحاء جزيرة العرب ، ووصفوها ، وذكروا أن من الممكن الاستفادة من بعض تلك السدود ومن مواقعها ، وأشادوا بمقدرة من شيدها وأقامها وبقابلياته الهندسية وبفطنته في حسن اختيار المواقع ، بالرغم من ضعف القدرة الفنية وبدائية الأساليب التي استعملت في ذلك الزمن[1] .

ومن السدود : (السد) ماء سماء في (حزم بني عوال) ، جبيل لغطفان أمر الرسول بسدّه . وسد (أبـي جراب) أسفل من عقبـة منى دون القبور عن يمين الذاهب الى منى ، منسوب الى (أبـي جراب عبدالله بن محمـد بن عبد الحارث بن أمية الأصغر) ، وسد قناة[2] ، وسد (العياد) ، وقد أقيم في موضع يبعد عن الطائف زهاء ستة أميال ، كتب عليه بالخط الكوفي المحفور على الحجر : « هذا سد عبدالله بن معاوية أمير المؤمنين . بناه عبدالله بـن ابراهيم » . وكان ذلك سنة (٥٨) للهجرة . وقد أقيم بالحجارة وحدها ، فلم يضع مهندسه ، عبدالله ابن ابراهيم ، مادةً من مواد البناء مثل الملاط أو الطين وما شابه ذلك بين الحجارة لتثبيتها وضمها بعضها الى بعض حتى تتماسك ، فتكون كأنها قطعة واحدة . وهي طريقة معروفة في اليمن ، استعملها المهتدسون الجاهليون كما يظهر ذلك من فحص الخرائب العتيقة الباقية من الأبنية والسدود الجاهلية . ولا يزال هذا السدّ في حالة ممتازة يتحدث عن نفسه وعن قدرة المهندس الذي أقامه في هذا المكان .

---

١ تويتشل ، المملكة العربية السعودية (ص ٥٠) .

٢ تاج العروس (٢/٣٧٣) ، (سدد) .

سد مأرب :

واستبد سدّ مأرب من بين سائر سدود جزيرة العرب بالإسم والذكر ، ونال مكانة كبيرة في كتب التفسير والسير والأخبار . ولذكر القرآن لـ (سيل العرم)، نصيب كبير في توجيه أنظار علماء التفسير واللغة والأخبار اليه ، وفي خلود اسمه الى الآن . وقد روى أهل الأخبار قصصاً عنه وعن كيفية خرابه ، وتشتت شمل سبأ بسببه ، ونزوحهم الى مواضع بعيدة عن ديارهم القديمة .

ويعدّ سدّ (مأرب) من أهم السدود التي أقيمت في اليمن وفي جزيرة العرب. وقد بني من أجل السيطرة على مياه الأمطار والسيول التي تتدفق منها لوقاية المزارع والقرى منها ، وللاحتفاظ بهذه السيول للاستفادة منها إذا انقطعت الأمطار . وإرواء مناطق واسعة من الأرضين ، جيدة التربة ، خصبة مثمرة . لكن بها حاجة شديدة الى الماء ، وما كان في الامكان إنباتهـا لولا السيطرة عـلى السيول وإنشاء هذا السدّ .

وتأتي السيول الى السد من أماكن عديدة ، من (ذمار) ، و (جهران) ، و (الحدي) ، و (حولان) ، وبلاد مراد ، وقيفة ، وعروش ، وجوانب ردمان ، وشرعة ، وكومان وغيرها ، وذلك اذا أمطرت السماء وتجمعت فيهـا السيول وانحدرت . حتى تنتهي إلى وادي (أذنة) ، فتسير فيه المياه حتى تنتهي إلى مضيق بين جبلين ، يقال لكل منهما (بلق) ، ويسميهما (الهمداني) مأزمي مأرب ، تسير المياه فيه حتى تدخل منخفضاً من الأرض واسعاً ، هو حوض هذا السد . تدخر مياه الأمطار فيه . وله سدود وأبواب لحجز الميـاه وحبسها ، أو لتصريفهـا حسب الحاجة . فتمر من أبواب تفتـح وتغلق ،لتمر المياه منها في قنوات توزع إلى الأماكن التي يراد توجيه الماء اليها[1] .

ولا توجد لدينا نصوص عن أول رجل أقام هذا السد ، وعن العهد الذي تم فيه البناء . وكل ما لدينا اليوم عن وقت بنائه لأول مرة هو لذلك حدس وتخمين .

---

١ زيدان ، العرب قبل الاسلام (١٧٠ وما بعدها) ، العظم (٨٨/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٨٣/٤) ، حمزة (١٢٦) ، الاغاني (٧٢/١٦) ، الصفة (٨٠) ، Müller, Burgen, II, S. 83. f.

ويرى (كلاسر) أن عهده يعود الى السنة السبعمئة قبل الميلاد[1] . وقد بقي قائماً يؤدي واجبه الى حوالى السنة (٥٧٥) بعد الميلاد[2] . ويظهر من بعض الكتابات المحفورة على جدرانه بالمسند أن جملة تحسينات وتعميرات أدخلت عليه في أوقات مختلفة قبل الميلاد وبعدها ، وآخرها هو اصلاح أبرهة له الذي تمّ على أثر تصدعه سنة ٥٤٢ للميلاد . ويظهر أن تصدعاً آخر وقع للسدّ في أيام طفولة الرسول ، وذلك في حوالى السنة (٥٧٥) للميلاد ، لم يكن من الممكن التغلب عليه، بسبب التدهور الاقتصادي الذي حدث في هذا العهد في اليمن وارتباك الأوضاع السياسية واضطراب الأمن وانتشار الثورات في كل مكان وتدخل الأجانب في شؤون البلاد، فتصدع قسم كبير منه ، ولم يهتم أحد من الحاكمين في اعادته الى أصله بإصلاحه وترميمه ، وتحولت بذلك الأرضين الخصبة التي كانت تروى بمائه والتي كانت واسعة إلى أرضين موات ، غطتها الطبيعة بطبقة من الرمال والأتربة وألبستها أكسية الصحراء الحزينة ، حداداً على فراقها لذلك السدّ العتيد .

وتعود أقدم الكتابات الباقية إلى أيام (المكربين) . وتأتي كتابة (سمه على ينف) (سمهعلى ينوف) مكرب سبأ على الرأس . ويظهر منها ان هذا المكرّب قد أقام سد (رحاب) ، وقد اشتغل به ابنه (يثع أمر بين) وقوّاه ، كما بنى سداً آخر عند (حبابض) ، ويقع في المنطقة الشمالية من سد مأرب[3] .

وقام المكرب (كرب ال بين بن يثع امر) ، ببناء جزء من السد وتقوية أجزائه الأخرى . كما قام الملوك بإضافة أجزاء جديدة اليه ، وتقوية الأجزاء القديمة منه . ومن هؤلاء الملك (ذمر على ذرح) ملك سبأ ، والملك (يدع ال وتر) (يدع ايل وتر)[4] .

كذلك أصلح الملك (شمر يهرعش) هذا السد ، ورممه الملك (شرحبيل يعفر) في سنة (٤٤٩) للميلاد . ولكن المياه جرفت أقساماً منه سنة (٤٥٠) للميلاد ، أي

---

١ Ency., III, p. 290.

٢ A Grohmann, Südarabien als wirtschaftsgebiet, II, 23-28, A. Grohmann, S. 151.

٣ Ency., III, p. 290, Müller, Burgen, II, S. 13. f.

٤ Müller, Burgen, II, S. 15.

بعد سنة من الترميمات ، فاضطر إلى إعادة إصلاحه وتقويته[1] .

وقد أقام المهندسون في الجهة الضيقة التي تسيل منها السيول الى المجـاري ثم الى حوض واسع سـداً قوياً طوله نحو من (٥٧٧) متراً ونصف المتر ، عرف بـ (رحاب) في المسند . أقيم في المنطقة التي تضيق فيها الشقة بين جزءي جبل (بلق) ، حيث يمر بينهما وادٍ يفصل بين الجزءين المعروفين بـ (بلق القبلي) و (بلق الأوسط) . فسدّ الوادي بذلك وتحكم السد بمسير ماء السيول . وصار يجري من خلال فتحة ، هي باب يتحكم الإنسان فيهـا كيف يشاء الى (وادي أذنة) (وادي ذنـة) ، حيث يملأ الحوض[2] . وينتهي الحوض بسدين آخرين أقيما لتنظيم تصريف الماء المخزون عند الحاجة وتوجيهه الى الأرضين المحتاجة اليه ، بهما منافذ هي أبواب تفتح وتغلق للتحكم في توزيع الماء .

وقد استخدمت في بناء السد والحواجز حجارة اقتطعت من الصخور، وعولجت بمهارة وحذق حتى توضع بعضها فوق بعض ، وتثبت وتتماسك وتكون وكأنهـا قطعة صلدة واحدة . ونحتت الصخور ، بحيث صارت تتداخل بعض في بعض ، بأن يدخل رأس من صخرة في فتحة مقابلة لها ، فتكون كالمفتاح في القفـل ، وبذلك تتماسك هذه الصخور وترتبط ارتباطاً وثيقاً ، وتكون كأنها صخرة واحدة . وقد وجد ان بعض الأحجار قد ربطت بعضها ببعض بقطع من قضبان اسطوانية من المعدن المكون من الرصاص والنحاس يبلغ طول الواحد منها حوالى (١٦) سنتمتراً ، وقطرها حوالى الثلاثة سنتمترات ونصف . وذلك بصب المعدن في ثقب الحجر ، فإذا جمد وصار على شكـل (مسمار) ، يوضع الحجر المطابق الذي صمم ليكون فوقه في موضعه بإدخال (المسمار) في الثقب المعمول في الجهة السفلى من ذلك الحجر ، وبذلك يرتبط الحجران بعضهما ببعض برباط قوي محكم . وقد اتخذت هذه الطريقة لشد أزر السد ، وليكون في امكانه الوقوف أمام ضغط الماء وخطر وقوع الزلازل[3] . أما المادة التي استعملت في البناء لربط الأحجار بعضها ببعض فهي من أحسن أنواع الجبس Gips ، وقد تصلب هذا الجبس الذي طليت

---

١ Glaser 554, Ency., III, p. 290.

٢ « وادي أذنة » ، الصفة (٨٠ ، ٩٤) .

٣ العظـم (٢/٩٢) . A. Grohmann, S. 152.

به واجهات السد أيضاً حتى صار كأصلب أنواع السمنت[1] .

وقد أقام المهندسون أبواباً لدخول المياه منها وخروجهـا ، كما أنشأوا فتحات لتقسيم المياه وتوزيعها عـلى المجاري والسواقي تفتح وتقفل بحسب حاجـة المزارع والأماكن الى المياه . ولا يزال بعض جدر السد قائماً ، وآثار السواقي والمجـاري التي كانت تجري فيها المياه من الحوض باقية ، وهي تدل على مهـارة مهندسي الري في ذلك العهد وعلى براعتهم في كيفية الاستفادة من الأرض ومن الطبيعـة لخدمة الإنسان .

وبنيت في اليمن سدود أخرى ، منها (قصعان) ، و (ربوان) ، وهو سدّ قتاب ، وشحران ، وطمحان ، وسد عباد ، وسد لحج ، وهو سد عرايس ، وسد سحر ، وسد ذي شهال ، وسد ذي رعين ، وسد نقاطـة ، وسد نضار وهران ، وسد الشعباني ، وسد النواسي ، وسد الخانق بصعدة ، وسد ريعان ، وسد سيان ، وسد شبام ، وسد دعان وغيرها[2] . وذكر (الهمـداني) أن في مخلاف (يحصب العلو) ثمانين سداً[3] .

وسد (الخانق) سد ينسب الى (نوال بن عتيك) مولى سيف بن ذي يزن ، ومظهره في (الخنفرين) من رحبان . وقد خرّبه (ابراهيم بن موسى العلوي) بعد هدم صعدة[4] .

وهناك آثار سدود جاهلية أخرى أقيمت في مواضع متعددة من العربية الجنوبية . منها آثار سد قتباني أقيم عند موضع (هجر بن حميد) بوادي بيحان . وقـد درسه ووصفه (بوون)[5] . كان يسقي بمائه منطقة واسعة من أرض مملكة قتبان .

---

١ A. Grohmann, S. 152.

٢ زيدان ، العرب قبل الاسلام (١٦٩) ، Müller, & Südarabische, S. 88.

٣ الصفة (١٠١) ، زيدان (١٦٩) .

٤ زيدان ، (١٦٩) .

٥ A. Grohmann, S. 153, Hamilton, Archaeological Sites in the Western Aden Protectorate, in G.J., 101, (1943), 116.
Philby, The Land of Sheba, G. J., 92 (1938), 113, 119.

وآثار سد (مرخة)[1] ، وآثار سد آخر أقيم عند (شبوة) ، وسد آخر عند (الحريضة) ، تفرعت منه شبكة من القنوات والمجاري لايصال الماء إلى المزارع والأرضين الخصبة التي تعيش عليها .

وقد ظهرت من الصور (الفوتغرافية) ، الذي أخذت من الجو لبعض مواضع من جزيرة العرب آثار شبكات للإرواء تتصل بأحواض مياه وسدود أقيمت لخزن مياه الأمطار فيها للاستفادة منها وقت الحاجة . ففي (وادي عديم) آثار جدر سدود وقنوات ومجاري مياه متصلة بعضها ببعض تمتد إلى مسافات بعيدة كانت تمدها بإكسير الحياة . وكذلك تشاهد آثار الإرواء عند (حصن العر) و (ثوبة) في القسم الجنوبي من (وادي حضرموت) . وقد نحتت الصخور عند (نجران) لعمل ممر منها للماء ليذهب إلى حوض واسع أحيط بسد وجدار حيث يمكن خزن مئة مليون (غالون) من الماء فيه[2] .

توزيع الماء :

وقد يوزع الماء الجاري من العيون والأنهار ، بالنصيب . بأن تعين أوقات تفتح فيها المياه على مزرعة ما ، فإذا انتهى الوقت سد الماء ، وحُوّل الى مزرعة أخرى ، وذلك لقلة الماء وعدم كفايته في اسقاء المزارع كلها دفعة واحدة،فيوزع بالحصص ، في أوقات تثبت وتعين . وقد تقع الخصومات من جراء التجاوز وعدم التقيد بضبط الأوقات ، كما يحدث في أيامنا في كثير من الأماكن الزراعية . ونجد في كتب الأخبار أمثلة عديدة من أمثلة هذا النزاع . ويقال للنصيب من السقي (سِقي)[3] . أي الحظ من الشرب[4] .

---

١ G. Gaton Thompson — E.W. Gardner, Climate, Irrigation and Early man in the Hadhramaut, G.J., 93 (1939), 34. f, A. Grohmann, S. 153.

٢ A. Grohmann, S. 153, Philby, The Land of Sheba, G.J., 92 (1938), 16.

٣ المفردات ، للاصفهاني (٢٣٥) .

٤ تاج العروس (١٠/١٨٠) ، (سقى) .

حقوق الري :

وللجاهليين أعراف محلية قامت مقام القوانين في الاستفادة من الماء . والمياه عندهم ، اما مياه طبيعية لا دخل ليد الإنسان في استنباطها ، مثل مياه الأمطار والعيون والأنهار . واما مياه وجدت باستنباط الانسان لها ، باستخدام ماله ويده في تذليلها، كمياه الآبار والعيون التي يفجرها الانسان ومياه الصهاريج والكهاريس والمياه التي تتجمع من إقامة السدود وما شاكل ذلك مما للإنسان يد وعمل في الاستفادة منها .

وطبيعي ان تختلف هذه الأعراف باختلاف مواضع جزيرة العرب . فالمياه في العربية الجنوبية من أمطار ومن مياه مستخرجة أو نابعة هي أكثر بكثير من مياه أي منطقة أخرى من جزيرة العرب . ولهذا نجد لها ذكراً في الكتابات العربية الجنوبية ، حيث نجد فيها إشارات إلى أحكام وإلى كيفية السقي وحقوق أصحاب الأرض في الماء وحقوق المستأجرين للأرض في الماء وإلى خصومات وقعت بينهم في موضوع حقوق التصرف بالماء .

ولدينا في الوقت الحاضر كتابات ، هي قوانين صدرت من حكومات العربية الجنوبية في تنظيم حقوق السقي والاستفادة من الماء ومن حق الانتفاع من الآبار . كما تعرضت لموضوع حقوق شراء الأرض ، وكيفية بيعها وما إلى ذلك مما يتعلق بالري والزراعة .

وأما في الحجاز ، فقد استخدمت الآبار المحفورة ، يحفرها أهلها ليستفيدوا من مياهها في الشرب وفي اسقاء الزرع والمواشي ، وقد يكرونها لغيرهم مقابل كراء يعين . لهذا وضعوا أعرافاً خاصة بالنسبة إلى الاستفادة من حقوق ملكية الآبار .

الخصومات بسبب الماء :

وطالما وقعت مشاحنات وخصومات بين أصحاب المزارع بسبب اشتراكهم في الماء ، في مثل الشراج والجعافر والأنهار وأمثالها ، إذ كان يستأثر بعضهم به ، ولا يدع الماء يسيل الى غيره إلا بعد أن يسقي زرعه سقياً كاملاً ،وكان أصحاب

المزارع الذين تقـــع مزارعهم في أعالي منابع الماء يستأثرون به ، بتوجيهـه الى مزارعهم ، أو بوضع سكر يحبس الماء عن البساتين الواقعة خلف السكر، فيذهب الماء الى مزارعهم ولا ينال المزارع الأخرى الا القليل منه.ونجد مثل هذه الخصومات في العربية الجنوبية وفي منطقة يثرب وفي مواضع الحسي وعيون الماء . وقد خاصم أنصاريٌ (الزبيرَ بن العوّام) عنـــد النبي في شراج الحرة ، وهي مسايل الماء التي يسقون بها النخل ، فقضى النبي ، أن يسقى الأعلى ثم الأسفل[1] .

---

١ ارشاد الساري (٤/١٩٧ وما بعدها) .

obeikandl.com